ثغـــر ملطيـــة

ودوره فى الجهاد ضد البيزنطيين

من سنة ١٤٠ ـ ٣٢٢ هـ (٧٥٧ ـ ٩٢٤ م)

بقـــلم

الدكتور / احمد محمد الدسوقى المنوفى

كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر

بإيتـــاى البارود

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين الهادى إلى الصراط المستقيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين وخير الداعين وإمام المجاهدين وعلى آله وصحابته أجمعين .

وبعد فمنذ بدأت الدعوة الاسلامية وهى تجابه خصومها الحاقدين الراغبين فى القضاء عليها ، وكان البيزنطيون أحد هؤلاء الخصوم ، وترجع المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين إلى ظهور الإسلام ، وتكوين دولة له بالمدينة ، فقد كانت عقيدته تخالف عقائدهم ، ونظمه تخالف أنظمتهم ، ولذلك دبروا لوأده وإنهاء دولته تعصبا لدينهم ورغبة ألا يزاحمه دين آخر ، ولكن أبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ، وتنتشر دعوة الإسلام وتتسع رقعة دولته وتزيح البيزنطيين عن مصر والشام والمغرب وغيرها ، ولذلك ازدادت عداوتهم للإسلام والمسلمين ، وتربصوا بهم الدوائر ، وتحينوا الفرص للإيقاع بهم واسترجاع ممتلكاتهم وتصدى المسلمون لكيدهم ، ورد عدوانهم ، وتطلعت الدولة الإسلامية الفتية فى عهدى الخلفاء الراشدين وبنى أمية ، إلى إسقاط عاصمتهم القسطنطينية ، والقضاء بذلك نهائيا على إمبراطوريتهم مصدر القلق والتهديد

للدولة الإسلامية ، ولكن حصانة المدينة كانت من أهم عوامل إخفاقهم فى ذلك .

وفى عهد الدولة العباسية ، لم تحدث محاولات لفتح القسطنطينية لابتعاد العباسيين عن الحروب البحرية عموما ، واقتنعوا بالغزوات البرية المنظمة للأراضى البيزنطية فيما عرف بنظام الصوائف والشواتى (١) ، وهو نظام قديم اتبعه المسلمون منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد انتزاع الشام من أيدى البيزنطيين ، ويهدف هذا النظام إلى التوسع فى الأراضى البيزنطية ، والاستيلاء على حصونهم التى تواجه المسلمين .

وكان خط الحدود الفاصل بين الدولتين العباسية والبيزنطية ، يتكون من سلسلتى جبال طوروس ، وطوروس الداخلية ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة ، سلك المسلمون

---

(١) كانت حملاتهم البرية أو الصوائف والشواتى تتم فى مواسم معينة مرتين أو ثلاث مرات كل عام ، فالأولى حملة الربيع وهى تقع لعشرة أيام تخلو من مايو ، بعد أن تكون خيول الغزاة قد تحسنت لوفرة الكلأ والمراعى ، وتستمر هذه الغزوة ثلاثين يوما ، والحملة الثانية تتم فى الصيف وتبدأ لعشرة أيام تخلو من يوليو ، وتستمر ستين يوما ، والثالثة حملة الشتاء ، وتحدث فى حالات الضرورة ، وتبدأ فى آخر فبراير الى أيام تمضى من مارس ولا تزيد مدة هذه الحملة عن عشرين يوما . انظر قدامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ضمن كتاب المسالك لابن خرداذبة ص٢٥٩ . ليدن ١٩٦٧ ، عثمان محمد ، فتحى الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى جـ٢ ص ٣٢٠ الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٧ م .

اثنين منها هما درب الحدث وهو فى الشمال الشرقى ، ويمتد من مرعش إلى أبلستين ودرب الأبواب القيليقية ، ويمتد شمالا من طرسوس فى اتجاه الطريق العام إلى القسطنطينية (٢) . ويحمى خط الحدود بين الدولتين عدد من الثغور يمكن أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات هى الثغور الشامية ، والثغور الجزرية والثغور النكرية ، وقد احتلت منطية (٣) المكانة الأولى بين الثغور الجزرية ، وكانت مفتاح الطريق الى منطقة الثغور كلها ويتركز الدفاع فيها عن منطقة الجزيرة ، ويسهل الاتصال منها بثغور الشام ، ونظرا لموقعها المتميز وقربها من بلاد الروم كانت طريق الصوائف والغزوات إلى بلادهم ، وتعادل مكانة ملطية فى ثغور الجزيرة ، مكانة أنطاكية فى ثغور الشام فى عهدى الخلفاء الراشدين وبنى أمية وطرسوس فى عهد العباسيين .

وتضم ثغور الجزيرة بجانب ملطية مرعش والحدث وزبطرة وكيسوم وحصن منصور وشمشاط ويقابلها عند الروم جند خرشنه والخالدية (٤) ، وسميت ثغور الجزيرة لأن الجند

---

(٢) سليمان : د. أحمد عبد الكريم . المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط ص ٣٢ ، ص ٣٤ الطبعة الأولى مطبعة السعادة القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ .

(٣) ملطية بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء ، والعامة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء . الحموى : ابو عبد الله ياقوت عبدالله معجم البلدان جـ٥ ص ١٩٢ دار احياء التراث العربى . بيروت بدون تاريخ .

(٤) قدامه بن جعفر : مصدر سبق من ص ٥٣ - ص ٥٩ ، العريني : د. السيد الباز أجناد الروم ص ١٥ ، ص ١٦ مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٦ م .

القديمين فيها من العراق والجزيرة (٥) ، بالرغم من أن هـــذه المنطقة تعد من بلاد الشام لأن كل ما هو غربى الفـــــرات فمن الشـــام .

وتضم ثغور الشام بجانب طرسوس أذنة والمصيصـــــة وعين زربى والهارونية والكنيسة وبياس ، وسميت بثغـور الشام بالرغم من أنها ليست من الشام ، لأنها تحمى بلاد الشام ويقابلها عند الروم جند « القبـــادق والناطليق » من ناحية البر ، « وسلوقيه » من ناحية البحر ، ويفصـــل جبل « اللكام » (٦) بين ثغور الجزيرة والثغور الشامية ، وتقع ثغور الجزيرة فى الشمال الشرقى بينما تقع ثغور الشام فى الجنوب الغـــربى .

ويلى ثغور الجزيرة الثغور البكرية ، نسبة الى ديار بكر بالجزيرة ، وتحمى هذه المنطقة من الجزيرة وأهمها سميساط وحانى وملكين وعدة حصون ، وتنتهى فى أقصى الشـــمال بثغر « قالقيلا » أو « أرزن الروم » ، ويقابل الثغور البكرية فى ارض الروم « الأرمينياق » وبعض أجزاء من الخريطة (٧) .

---

(٥) ابن العديم : ابو حفص بن عمر بن احمد بغية الطلب فى تاريخ حلب جـ٢ ورقة ٣٠٦ مخطوط مصور بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٥٦٦ تاريخ .

(٦) اللكام جبل يشرف على انطاكية والمصيصة وطرسوس ومنطقة الثغور . الحموى معجم البلدان ج ٥ ص ٢٢ .

(٧) قدامه : مصدر سبق ، العريني مرجع سبق .

موقع ملطية ولمحة من تاريخها

تقع ملطية الى الشمال من حلب ، فى شمال الشام ، عند احد الممرات المؤدية من إقليم الجـــزيرة إلى أراضى الدولة البيزنطية (٨) ٠

ويقال إن الذى بناها هو الإسكندر الأكبر (٩) ، وكانت من بلاد الروم ، وقد وصلت الجيوش الإسلامية إليهـــا سنة ١٤ هـ ، عندما بعث أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه عياض بن غنم لتتتبع الروم ، فسلك الأعماق حتى بلغ ملطية فصالحه أهلها على الجزية ثم انصرف ، ولما سمع هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١ م/١٢ ق ٠ هـ/٢٢٠ هـ) بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها فساقهم إليه خوفا على أهلها من المسلمين وأمر بإحراق المدينة (١٠) وذلك تمشيا مع سياسته الهادفة إلى إيجاد منطقة عازلة بين الروم والمسلمين ، تضمن الحمـــاية لبلاد الروم من غارات الدولة الإسلامية الفتيـــة ، حتى إذا

---

(٨) ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن حوقل صورة الارض جـ١ ص ٢٠٨ نشر كرامر ضمن المجموعة الجغرافية العربية الطبعة الثانية ليدن ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ م ٠

(٩) الحموى مصدر سبق جـ ٥ ص ١٩٢

(١٠) الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ٥٧٢ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦ ٠

طرقها المسلمون وجدوها خرابا ، وبعدت عليهم الشقة ، وفى نفس الوقت تعطى الفرصة الكافية للروم للاستعداد وصد الهجوم ، ولكن يبدو أن الروم عادوا لعمارتها وسكناها ، فقد أوردت المصادر أن عياض بن غنم لما فتح سميساط سنة ١٧ هـ بعث حبيب بن مسلمة الى ملطية ففتحها عنوة ، ورتب فيها جندا من المسلمين مع عاملها (١١) .

عمارة المسلمين للمدينة ،

العمارة الأولى

أدرك المسلمون أهمية هذه المدينة لموقعها وقربها من بلاد الروم ورأوا ضرورة اتخاذها قاعدة لهم ، وكان معاوية ابن ابى سفيان - والى الشام والجزيرة - هو أول من فطن إلى ذلك ، فرتب فيها جندا من المسلمين ، وجعل عليها عاملا ، وحرص على تزويدها بالجنود ، وعندما قدم إليها - اثناء ولايته على الشام والجزيرة - لينطلق منها إلى غزو بلاد الروم ، شحنها بجند من أهل الشام والجزيرة وغيرهما ، وصارت ملطية بعد ذلك طريق الصوائف وقاعدة من قواعد جيوش

---

(١١) ابن الأثير : أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد الكامل فى التاريخ جـ٢ ص ٣٧٤ ، ص ٣٧٥ دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

المسلمين المهاجمة لبلاد الروم (١٢) ، وعندما غزا معاوية ابن أبى سفيان حصن المرأة من أرض الروم سنة ٣٣ هـ كان ذلك عن طريق ملطية (١٣) .

وقد انتهزت امبراطورية الروم - كعهدها دائما مع الدولة الإسلامية - فرصة الخلاف والشقاق بين المسلمين والحروب التى نشبت بينهم أيام فتنة عبد الله بن الزبير (١٤) فهاجموا ملطية وخربوها بعد أن جلا المسلمون عنها ، وسكنها بعد ذلك قوم من النصارى من الأرمن والنبط (١٥) .

ويبدو أن ملطية ظلت شبه خالية ليس بها إلا بعض أهل الذمة من الأرمن والنبط مدة من الزمان ، وكانت بعض جيوش المسلمين تمر بها فى غزوها لبلاد الروم ، فقد ذكر اليعقوبى أن الوليد بن عبد الملك غزا أطمار من ناحية ملطية سنة ٧٧هـ (١٦)

---

(١٢) البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى فتوح البلدان ص ١٨٩ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ابن الاثير المصدر السابق .

(١٣) الطبرى : مصدر سبق جـ٤ ص ٣١٧ .

(١٤) وذلك فى عهد يزيد بن معاوية ، وقد افاد ابن الزبير من سخط عامة المسلمين على بنى أمية لسوء سياستهم فدعا الى بيعته سنة ٦١ هـ واقام دولة شملت معظم أرجاء العالم الاسلامى ، وانحصر نفوذ بنى أمية فى جزء من بلاد الشام ، حتى تمكن مروان بن الحكم وابنه عبد الملك من القضاء على هذه الدولة وقتل ابن الزبير سنة ٧٣ هـ . الطبرى جـ٥ ، جـ٦ فى مواضع متفرقة .

(١٥) البلاذرى مصدر سبق ص ١٨٩ تاريخ اليعقوبى .

(١٦) اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب - تاريخ اليعقوبى ص ٢٨١ دار صادر بيروت بدون تاريخ .

وذكر الطبرى وابن الأثير أن مسلمة بن عبد الملك غزا بلاد الروم من ناحية ملطية فافتتح ماسة وغزالة وبرجمة سنة ٩٣ هـ (١٧) ، كما فتح داود بن سليمان بن عبد الملك حصن المرأة من ناحية ملطية ٩٨ هـ (١٨) .

وكان من أسباب إهمال المسلمين لملطية فى هذه الفترة وعدم عمارتها ، أن المسلمين اتخذوا قاعدة اكثر قربا من بلاد الروم هى طرندة التى فتحها المسلمون سنة ٨٣ هـ بقيادة عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وهى على ثلاثة مراحل من ملطية وإغلة فى بلاد الروم ، وقد أسكنها عبد الله المسلمين بعد فتحها (١٩) ، وكانت القاعدة الجديدة تزود بجند من الجزيرة ، فيأتى الجند فيقيمون فيها فى فصل الصيف حتى إذا أقبل الشتاء وتساقطت الثلوج عادوا إلى بلادهم ، وظل الأمر كذلك حتى ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، ودفعه الخوف على المسلمين من اعتداء الروم وغدرهم إلى طلب إخلاء طرندة سنة ١٠٠ هـ وترحيل أهلها إلى ملطية ، فترك المسلمون طرندة وهم كارهون ، وحرصوا على تخريب المدينة حتى لا يستفيد منها أعداؤهم ، حتى كسروا خوابى الخل والزيت » (٢٠).

---

(١٧) الطبرى بمصدر سبق جـ٦ ص ٤٦٩ ، ابن الاثير مصدر سبق جـ٤ ص ١٢٩ .

(١٨) اليعقوبى مصدر سبق جـ٢ ص ٣٠٠ ، الطبرى مصدر سبق جـ٦ ص ٥٤٥ .

(١٩) البلاذرى مصدر سبق ص ١٨٩ ابن الاثير مصدر سبق جـ ٤ ص ١٥٩ ، ص ١٦٠

(٢٠) البلاذرى المصدر السابق ص ١٩٠ ، ابن الاثير المصدر السابق

العمـــارة الثانية :

بعد أن انتقل المسلمون من طرندة إلى ملطية حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على تنظيم الأمور فى المدينة فعين لهـــا واليا هو « جعونة بن الحارث » أحد بنى عامر بن صعصعة (٢١) واستأنفت ملطية نشاطها الحربى كمركز للدفاع عن الحـدود الإسلامية ، ومنطلق للهجوم على الأراضى البيزنطية ، فغـــزا منهـــا معـــاوية بن هشـــــام الصـــائفة سنة ١١٢ هـ ، فافتتح خرشـــنة وحرق فرنجية (٢٢) ، وفى ســـنة ١٢١ هـ بلغ مسلمة بن هشام ملطية لغزو الروم ، كما غزا مسلمة ابن هشام الروم من ناحية ملطية فى العـــام التالى ســـنة ١٢٢ هـ (٢٣) .

وهكذا كانت المدينة منذ عهد عمر بن عبد العزيز تؤدى مهمتها الثغرية على خير ما يكون الأداء ، وعلى حسب المتـــاح لها من ناحية الجند ، ومن ناحية تحصين المدينة ذاتها وكفاية مبانيها ، ويبدو أن المدينة فى هذه الفترة كانت تعانى نقصا من ناحية قواتها المدافعة والمهاجمة ، وكان الواجب أن يتوفر لها عدد كاف منهم .

---

(٢١) البلاذرى المصدر السابق .
(٢٢) الطبرى مصدر سبق جـ٧ ص ٧٠ .
(٢٣) اليعقوبى مصدر سبق جـ٢ ص ٣٢٩ .

جهـاد المرأة فى ملطية :

ذكـرت المصـــــادر أن البـــروم عنـــدما هاجمـــوا المدينة سنة ١٢٣ هـ ، أغلق أهلها أبوابها ، وظهرت النســـاء على السور عليهن العمائم فقاتلن (٢٤)

وهذه الحادثة شهادة طيبة بوعى المرأة المسلمة فى ملطية وجرأتها وتصديها لتحمل المسئولية وتضحيتها ، وتسجل فى نفس الوقت عدم كفاية المدينة من الجنود المحاربين ولعـــل قواتها الرئيسية كانت فى مهمة عسكرية خارج المدينة عند هجوم الروم عليها .

وقد استنجد أهل المدينة بالخليفة هشام بن عبد الملك ، فدعا الناس إلى الخروج إليها والإنضمام الى مجاهديها ، ثم أتى الخبر برحيـل الروم عنها (٢٥) ، وهذا الرحيـــل بسبب برسالة المقاومة الإسلامية التى تحمل العبء الأكبر منهـــا هؤلاء النسوة من سكان المدينة ، وحصانة المدينة ، وقد يكون سببه ما بلغهم من ندب الخليفة الناس للخروج إلى ملطيـة لحمايتها والدفاع عنها .

---

(٢٤) البلاذرى مصدر سبق ص ١٩٠ .
(٢٥ المصدر السابق .

وعلى كل حال فقد لمست هجوم الروم نظر الخليفة إلى ضرورة الإهتمام بهذه المدينة « الاستراتيجية » وتدعيمها عسكريا ، فبعث مع الرسول الذى جاء يستنجد به خيلا لترابط فى المدينة ورأى أن يزيد فى تحصيناتها ومبانيها ، وذهب لتحقيق ذلك بنفسه ، ونزل بجنده وعسكر فيها حتى تم بناء ما يلزمها (٢٦) .

وأصبحت المدينة أكثر كفاءة للقيام بمهمتها فى صيانة الحدود الإسلامية ، والهجوم على البلاد البيزنطية ، وأزعج ذلك البيزنطيين وآذاهم . ولذلك عندما واتتهم الفرصة اتجهوا للهجوم عليها وتخريبها ، وكانت هذه الفرصة هى الفتن والاضطرابات والحروب التى صاحبت سقوط دولة بنى أمية وقيام دولة بنى العباس سنة ١٣٢ هـ ، وانشغال الدولة الجديدة بتثبيت أركانها وتدعيم قوتها ، وأقبل الامبراطور البيزنطى « قسطنطين الخامس » (٧٤٠ - ٧٧٥ م / ١٢٢ - ١٥٨ هـ) بنفسه إلى ملطية ، وعرج على « كمخ » قبل مجيئه إلى ملطية ، وكانت بيد المسلمين ، ووإليها أحد بنى سليم ، فبعث أهل كمخ إلى أهل ملطية يستنجدون بهم فبعثوا إليهم بثمانمائة مقاتل (٢٧) وهذا يدل على تعاون مدن الثغور ضد العدو المشترك إنطلاقا من مبادىء الإسلام الداعية الى تعاون المؤمنين جميعا فى السراء والضراء ، ونصرة الأخوة فى الدين ، كما يدل على شعور أهل ملطية بأنهم يتحملون

---

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) المصدر السابق ، ابن الاثير مصدر سبق جـ٤ ص ٣٤١ .

مسئولية أدبية تجاه الثغور عامة وثغور الجزيرة خاصة فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ المدينة ، كمـــا نلمس كذلك روح الإيثار والتضحية ، ففى الوقت الذى أدرك فيه أهل ملطية ان الدائرة سوف تدور عليهم ، وأن الروم - لا محالة - ســـوف يقصدون بلدهم لم يبخلوا على اخوانهـــم أهـــل كمـــيخ بالمســـاعدة .

وهذا العدد القليل من جند ملطية لم يتمكن من الانتصار على الروم ، الذين كانت أعدادهم - بلا شك - تفوق هذا العدد أضعافا مضاعفة ، فقد كان على رأس هذا الجيش الامبراطور نفسه ، ويبدو أن اتجاه قسطنطين الخامس إلى كمخ قبـــل ملطية وهى أقل منها شأنا كان وفق خطة وضعها لإلقاء الرعب فى قلوب أهل ملطية وإضعاف عزائمهم،ثم ضرب الحصار حول ملطية ، وحاول أهلها الاستنجاد بأهل الجزرة ، وكان واليها موسى بن كعب التميمى ، فلم يمكنه إغاثتهم (٢٨) وفى رواية اليعقوبى أنه زحف لملقاء ملك الروم ولكن لم يكن بينهمـــــا لقـــاء (٢٩) .

وأراد قسطنطين الخامس أن يكمل مخططه فى التـــأثير النفسى السيىء على أهل المدينة فأرسل اليهم : « يا أهـــل ملطية إنى لم آتكم إلا على علم بأمركم ، وتشاغل ســـلطانكم

---

(٢٨) المصدران السابقان .
(٢٩) جـ٢ ص ٣٦٢ .

عنكم ، وطلب منهم الخروج من المدينة ، وضمن لهم الأمان ، وأوضح لهم أن هدفه هو تخريب هذه المدينة ثم تركها بعد ذلك (٣٠) .

وفشلت خطة قسطنطين الخامس ، وأبى اهل ملطية الخروج منها بالرغم من الظروف السيئة التى كانت تلم بالدولة الإسلامية واظهروا بذلك شجاعتهم وعنادهم وقوة إيمانهم ، وثقتهم بأنفسهم ، وحينئذ لجأ قسطنطين إلى استخدام القوة المسلحة ووسائل التدمير ، فنصب المجانيق وأحكم حصار المدينة ، حتى اعيا أهل ملطية الصبر واجهدهم شدة البلاء ، ولم يجدوا مناصا من التسليم ، واشترطوا على ملك الروم أن يوفر لهم الأمان حتى يخرجوا من المدينة ، وتجهزوا للخروج منها ، وحرصوا على أن يحملوا معهم ما يمكنهم حمله ، وما عجزوا عن حمله ألقوه فى الآبار والمخابىء (٣١) ، حتى لا ينتفع بها الروم ، واملا فى العودة إلى المدينة بعد ذلك ،فيمكنهم إخراجه والانتفاع به .

وذهب أهل ملطية إلى الجزيرة فتفرقوا فيها ، وهدم الروم المدينة هدما كاملا حسب رواية البلازرى - ولم يبق منها « إلا هريا شعث منه الروم تهيئا يسيرا » (٣٢) .

---

(٣٠) البلاذرى مصدر سبق ص ١٩٠ ، ابن الاثير مصدر سبق جـ٤ ص ٣٤١ .

(٣١) المصدران السابقان .

(٣٢) ص ١٩١ .

(٣٣) البلاذرى ص ١٩٠ ، ابن الاثير مصدر سبق جـ٤ ص ٣٤١ .

كما هدموا أيضا حصن قلونية ، ثم رحلوا عنها عائدين إلى بلادهم .

ورواية اليعقوبى لا تشير الى هدم الروم للمدينة ، وإنما تبين أن قسطنطين حاصر المدينة ، ثم « صولح عنها »(٣٤) ولعل مما يؤكد الرواية الأخيرة ، وأن المدينة بقيت بدون تخريب ، ما أوردته المصادر من قدوم قسطنطين الخامس بعد خمس سنوات مرة أخرى الى المدينة وذلك سنة ١٢٨ هـ ، فدخلها عنوة وهدم سورها ، وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية (٣٥) ، إلا إذا افترضنا أن المدينة عمرت خلال خمس السنوات هذه - وهو ما لم تشر إليه المصادر - وإذا افترضنا ذلك فيستبعد أن تكون الدولة العباسية هى التى تولت بناء المدينة وتعميرها فى هذه الفترة ، نظرا لاشتغالها بتثبيت نفوذها ، وتوطيد دعائمها ، ومن الجائز أن مجهودات جمهور المسلمين الخاصة هى التى كانت وراء ذلك .

وسواء صحت هذه الافتراضات أم لم تصح ، فقد كانت المدينة عندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة (١٣٦ - ١٥٨هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥ م) فى وضع يستلزم بناءها أو استكمال بنائها ، وتحصينها أو زيادة هذا التحصين .

---

(٣٤) جـ٢ ص ٣٦٢ .

(٣٥) الطبرى مصدر سبق جـ٧ ص ٤٩٧ ، ابن الاثير مصدر سبق جـ٤ ص ٣٥٩ ، ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل بن عمر . البداية والنهاية جـ١٠ ص ٧٣ الطبعة الاولى دار الفكر العربى القاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣م.

العمارة الثالثة :

بعث أبو جعفر المنصور سنة ١٣٩ هـ إلى ملطية صالح ابن علي والعباس بن محمد ايقوما بمهمة بناء المدينة ، فمكثا بها حتى استتما بناءها (٣٦) ، وغزا هذا العام من درب ملطية جعفر بن حنظلة البهراني (٣٧) .

ويبدو ان المدينة بعد بنائها سنة ١٣٩ هـ لم تكن على المستوى الذى أراده لها الخليفة المنصور ، فقد أرادها مدينة قوية تتناسب مع قوة الدولة الجديدة وفتوتها ، وارادها قلعة حصينة فى وجه من تسول له نفسه مهاجمة الحدود الاسلامية كما أرادها مركزا عسكريا قويا ينطلق منها المجاهدون لغزو بلاد الروم ، ولذلك بعث فى العام التالى عبد الوهاب بن اخيه ابراهيم الإمام إلى المدينة ، وجعله واليا على الجزيرة وثغورها ، وبعث معه القائد العظيم الحسن بن قحطبة فى سبعين الفا من جنود خراسان ، وأمرهما ببناء المدينة (٣٨) .

وقبل الحديث عن بناء المدينة للمرة الثالثة ، نوضح ان

---

(٣٦) الطبرى المصدر السابق جـ٧ ص ٥٠٠ ، ابن الاثير المصدر السابق ، ابن كثير مصدر سبق جـ ١٠ ص ٧٤ .

(٣٧) ابن الاثير المصدر السابق .

(٣٨) المصدر السابق جـ٤ ص ٣٦٥ .

الروم أدركوا الخطر الذى تمثله هذه المدينة على حدود بلادهم وأمنها لو تم بناؤها وتحصينها - كما رغب الخليفة المنصور - ولذلك نهض قسطنطين الخامس سنة ١٤٠ هـ عندما بلغه عزم المسلمين على بنائها ، وعزم على الحيلولة دون تحقيق هذه الغاية، وكان قسطنطين أكثر من غيره إدراكا «لاستراتيجية» هذه المدينة ، فقد باشر بنفسه الهجوم عليها قبل ذلك ، وعرف ما تتمتع به من أهمية ، وقد أعد جيشا كبيرا عدته أكثر من مائة الف فنزل «« جيحان » فى طريقه إلى ملطية ، ولكن بلغه كثرة المسلمين فتراجع عن مهاجمتهم(٣٩) والحقيقة أن جيش المسلمين كان أقل بكثير عن جيش البيزنطيين ، كما ذكرت بعض المصادر (٤٠) فلعل المسلمين - فى هذه الفترة نجحوا فى اتخاذ عملاء لهم عند الروم يذيعون فيهم الأخبار التى تثبط عزائمهم وتبث الرعب فى قلوبهم ، وأيما كان الأمر فهى إرادة الله تعالى أن يتم بناء المدينة لتؤدى مهمتها فى جهاد الروم .

وبدأ الحسن بن قحطبة مهمة بناء المدينة فجمع الفعلة وعمال البناء ، وسخر العدد الكبير من جنده فى المساعدة فى عملية البناء ، وضرب من نفسه المثل أمامهم فكان يحمل الحجر ويناوله البناء ، وتنافس الوالى عبد الوهاب ابن ابراهيم الإمام مع الحسن قحطبه فى تشجيع المشاركين فى عملية البناء بإطعامهم وإكرامهم ، رغبة فى بقاء الهمة

---

(٣٩) البلاذرى مصدر سبق ص ١٩١ ، ص ١٩٢ ، ابن الاثير المصدر السابق .

(٤٠) المصدران السابقان .

والنشاط فى أعلى درجاتها حتى يتم البناء فى أسرع وقت ممكن ، ولذا فرغ المسلمون من بناء ملطية ومسجدها فى ستة أشهر (٤١) .

وقد أعطانا البلاذى صورة لمبانى المدينة ، فبين أن منازلها كانت تتكون من طابقين ويتكون كل منزل من غرفتين فى الطابق الأرضى وفوقهما غرفتان فى الطابق الثانى ويلحق بكل منزل اصطبل ، ويسكن كل منزل عرافة ، والعرافة عشرة نفر أو خمسة عشر .

وذكر البلاذى اهتمام العباسيين بتحصين المدينة ، فبنوا لها مسنحة على بعد ثلاثين ميلا منها ، ومسلحة على نهر يدعى « قباقب » أحد روافد نهر الفرات ، كما بنوا حصن عنونيه ، وزودوا المدينة بما تحتاج اليه من السلاح والذخائر ، واكثروا من ذلك (٤٢) .

---

(٤١) البلاذرى المصدر السابق ص ١٩١ ، ابن الاثير المصدر السابق .
(٤٢) المصدر السابق .

تعمـــير المدينـــة :

حرص العباسيون على تعمير المدينة ، وجذب المقاتلين والجنود إلى سكناها واستعانوا على ذلك بشتى المغـريات المادية من زيادة العطاء والمنح المالية ، وإقطاع الجند المزارع وقد أسكن المنصور أربعة الاف مقاتل من أهل الجـزيرة ملطية ، وزاد فى عطائهم عشرة دنانير بالإضافة إلى مائـة دينار معـونة ، سـوى الجعـل « الذى تتجـاعاه القبـائل بينها »(٤٣) وحرصت الدولة العباسية على توفير الأمـان لأهلها ، وقطع أمل الروم فى الاستيلاء عليها ، فأنفذت اليها فى سنة ١٤١ هـ محمد بن ابراهيم فى جند من أهل خراسان ، وعلى شرطته السيب بن زهير للرباط فيها (٤٤) .

لذلك عاد الى المدينة من كان قد تفرق من أهلها فى أنحاء الجزيرة بعد تخريب الروم لها قبل ذلك (٤٥) ، ومما زاد فى عمرانها أن المدينة باعتبارها ثغرا من ثغور المسلمين الهامة ورباطا لهم ، كانت مقصد الراغبين فى الجهاد والمرابطـة فى سبيل الله تعالى ، كما أنفق المحسنون على الثغـور . وأوقفوا عليها ، إعانة لأهلها ، وتشجيعا لهم على مواصلة الجهاد والمرابطة والاقامة فى المدينة . وكانت ملطية ، وغيرها

---

(٤٣) المصدر السابق .

(٤٤) البلاذرى المصدر السابق ص ٢٩٢ ، الطبرى المصدر سبق جـ٧ ص ٥١٠ ، ابن كثير مصدر سبق جـ١٠ ص ٧٧ .

من الثغور - بالاضافة الى ما تقدم - مكانا ينفى اليه المغضوب عليهم من العسكريين ، كما حدث لوصيف التركى . عندما بعث به الخليفة المنتصر الى الثغور سنة ٢٤٨ هـ (٤٦)، كما كانت الثغور ملجأ من لم يحالفهم الحظ فى مجال السياسة وفرض النفوذ ، أو خافوا انتقام من هو أعلى سلطة، كما كان من مؤنس الخادم سنة ٣١٥ هـ ، عندما بلغه عزم أم الخليفة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م) على قتله ، حيث طلب الإذن بالخروج الى الثغور ، وأجيب طلبه (٤٧) .

---

(٤٥) البلاذرى المصدر السابق ؛ ابن الاثير مصدر سبق جـ٤ ص ٣٦٥ .

(٤٦) الطبرى مصدر سبق جـ٩ ص ٢٤٣ ، ابن الاثير المصدر السابق جـ٦ ص ٣٠٧ .

(٤٧) القرطبى : غريب بن سعد صلة تاريخ الطبرى جـ٦ من تاريخ الطبرى ص ١١٥ دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ م ؛ الهمدانى : محمد بن عبد الملك تكملة تاريخ الطبرى جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٥٤ دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ م .

دور ملطية فى جهاد الروم

العوامل التى أعانتها على أداء هذا الور :

كان دور ملطية فى جهـاد الروم دورا كبـيزا سواء فى الدفاع أو الهجوم ، وقد أعانها على ذلك :

أولا : الموقع المتميز فى إقليم الجزيرة ، وقربها من الروم، ووقوعها عند أحد الممرات المؤدية من إقليم الجزيرة الى اراضى الدولة البيزنطية (٤٨) ٠

ثانيا : القادة الأكفاء الذين قادوا الجيوش منها لغزو بلاد الروم ، وفى مقدمة هـؤلاء القادة ، عمـر بن عبد الله الأقطع الذى برز اسمه سنه ١٠٦ هـ / ٧٢٣ ـ ٨١٨ م عندما تمكن من هزيمـة القائد البيزنطى « تيوكتستوس »(٤٩) ، ورفع اسم مدينة ملطية عاليا ، بسبب غزواته التى توغل فيها الى عمق الأراضى البيزنطية ، واقترن اسم المدينة باسمه وكان من أسباب لفت أنظـار البيزنطيين الى أهمية هـذه

---

(٤٨) ابن حوقل ٠ مصدر سبق جا ص ٢٠٨ ٠

(٤٩) د ٠ سلمان مرجع تقدم ص ٤٠ ٠ نقلا عن

Symeon Mngistor; Annales. p. 654 .

المدينة ، وقد استشهد هذا القائد فى إحدى غزواته الفدائية داخل بلاد الروم سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م (٥٠) .

وقد وصف الطبرى عمر بن عبد الله الأقطع وعلى بن يحيى الأرمنى الذى تولى إمرة طرسوس واستشهد هو الآخر بعده بقليل فقال : « كانا نابين من انياب المسلمين شديد بأسهما ، عظيما غناؤهما عنهم فى الثغور التى هما بها»(٥١).

وقال المسعودى عنهما : « إنهما كانا من أهل البأس والنجدة والمكايد في النصرانية » حتى إن الروم صوروا فى كنائسهم عشرة من كبار قواد المسلمين من بينهم عمر بن عبد الله الأقطع ، وعلى بن يحيى الأرمنى » (٥٢) .

ومن القواد العظام الذين قادوا الجيوش منها الى بلاد الروم ، مؤنس الخادم الذى لقب بالمظفر لشجاعته وانتصاره فى المعارك التى خاضها وقد قام بقيادة بعض الطوائف من هذه المدينة ، ولو قدر له أن يتفرغ للجهاد من هذا الثغر لتحققت نتائج طيبة للدولة الاسلامية ولكنه شغل بالمؤامرات

---

(٥٠) اليعقوبى مصدر سبق جـ٢ ص ٥٠١ ، الطبرى مصدر سبق جـ٩ ص ٢٦١ .

(٥١) الطبرى مصدر سبق جـ٩ ص ٢٦٣ .

(٥٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ٢ ص ٤٥١ المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦ هـ .

والفتن فى عاصمة الخلافة وانتهى الامر بمقتله سنة ٣٢١ هـ (٥٣) ٠

ومن القواد الذين أدوا دورا مشكورا لهذه المدينه ، القائد سعيد بن حمدان حاكم ديار ربيعة والموصل ، الذى كان له فضل كبير فى تخليص المدينة من سيطرة الروم سنه ٣١٦ هـ فقد سار اليها بجيشه وعندما علم الروم بذلك هربوا من المدينه فدخلها ثم استخلف عليها أميرا وخرج منها ، وغزا بلاد الروم (٥٤) ٠

ثالثا : تعاون الثغور الأخرى معها ، ووقوفها بجانبها عند الشدائد ، كما كانت منطية تفعل ذلك أيضا معهم ، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة ٢٢٣ هـ عندما هاجم الامبراطور « ثيوفيل » (٨٢٩ ـ ٨٤٢ م / ٢١٤ ـ ٢٢٧ هـ) ملطية وزبطرة، فقد نهض أهل الثغور الأخرى فى الجزيرة والشام أنجدة إخوانهم ، ولم يتخلف عن نجدتهم « إلا من لم يكن لديه دابة أو سلاح »(٥٥) ٠

وعندما تقدم الامبراطور « باسيل الأول » (٨٦٧ ـ ٨٨٦ م

---

(٥٣) ابن الاثير مصدر سبق جـ٦ ص ٢٢٤ ـ ص ٢٢٩ ، ابن كثير مصدر سبق جـ١١ ص ١٧٣ ٠

(٥٤) ابن الأثير المصدر السابق جـ٦ ص ٢١٧ ، ابن كثير المصدر السابق جـ١١ ص ١٦٧ ٠

(٥٥) ابن الاثير جـ٥ ص ٢٤٧ ٠

٢٥٣ - ٢٧٣ هـ) الى ملطية لفتحها سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م ، تعاون المجاهدون في ثغرى الحدث ومرعش مع المجاهدين في ملطية ، ونجحوا في صد الإمبراطور وهزيمته (٥٦) .

رابعا : موقف الخلافة العباسية المساند لها باعتبارها مدينة ثغرية تابعة لها تحمى منطقة الجزيرة بل والعراق الذى تقع فيه عاصمة الخلافة ، وإذا كانت الخلافة - وبخاصة فى فترات قوتها - تساند الثغور كلها إلا أنها كما تشير المصادر كانت تولى ملطية مزيدا من العناية والاهتمام ، وقد يكون ذلك - بالاضافة الى ما المحنا اليه من حمايتها لمنطقة الجزيرة والعراق - لأن كثافة الجند بها وموارد المالية أقل من مدينة طرسوس الثغر الأول بين ثغور الشام ، ولذلك لم تنل طرسوس ما نالته ملطية من الرعاية .

وقد دأبت الخلافة العباسية طوال تاريخ المدينة تقريبا على إرسال الجيوش اليها لتخرج لغزو الصائفة منها ، بجانب قوات المدينة الدائمة ، وكانت تحرص على أن يتولى قيادة هذه الصوائف خيرة قوادها ، وقد رابط فى هذه المدينة بعد بنائها محمد بن ابراهيم الإمام سنة ١٤١ هـ (٥٧) ومن أمثلة حرص الخلافة على قيام ثغر ملطية بواجبه فى الجهاد والإفادة من موقعها الهام ، أنها أرسلت العباس بن المأمون

---

(٥٦) الطبرى مصدر سبق جـ٩ ص ٦١٢ .

(٥٧) المصدر السابق جـ٧ ص ٥١٠ ، وابن كثير مصدر سبق جـ١٠ ص ٧٧ .

الى ملطية سنة ٢١٥ هـ ليغزو الروم (٥٨) ، ووجه الخليفة المنتصر وصيفا التركى الى ملطية لغزو الروم سنة ٢٤٨ هـ (٥٩) وبعث الخليفة المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ ٨٦٢ - ٨٦٦ م) جعفرا الخياط - من كبار قادة الدولة العسكريين - لغزو الصائفة من ملطية سنة ٢٤٨ هـ ، وضم اليه أمير المدينة عمر بن عبد الله الأقطع (٦٠) .

ووجه الخليفة المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ - ٨٦٦ - ٨٦٩ م) مزاحم بن خاقان إلى ملطية لحرب الروم الذين أغاروا على المدينة عدة مرات (٦١) ، وفى سنة ٢٩٦ هـ وجهت الخلافة العباسية جيشا كثيفا لغزو الروم ، وعلى رأسه القائد البارع مؤنس الخادم . وكان يرافقه القائد أبو الأغر السلمى ، ونجحت هذه الغزوة وعادوا بعدد من اسرى الروم (٦٢) .

هذا ولم تنقطع عناية الخلافة بملطية ، واهتمامها بأمر

---

(٥٨) الطبرى المصدر السابق جـ ٨ ص ٦٢٣ ، ابن الاثير مصدر سبق جـ٥ ص ٢١٩ .

(٥٩) الطبرى المصدر السابق جـ٩ ص ٢٤٣ ، ابن الاثير المصدر السابق جـ٥ ص ٣٠٧ ، ص ٣٠٩ .

(٦٠) اليعقوبى مصدر سبق جـ٢ ص ٤٩٦ ، الطبرى المصدر السابق جـ٩ ص ٢٤٣ .

(٦١) اليعقوبى المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٠١ .

(٦٢) الطبرى مصدر سبق جـ ١٠ ص ١٤٣ ، ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ١٣٥

الغزو منها إلا بعد اشتداد خطر القرامطة (٦٣) حـــوالى سنة ٣١٢ هـ وامتداد هذا الخطر إلى سنة ٣١٩ هـ ، وقـــد سقطت المدينة فى أيدى الروم فى أواخر هذه المدة ، وحرصت الخلافة العباسية بعد أن خف خطـــر القرامطة على إعادة ملطية ، ووكلت بهذه المهمة إلى سعيد بن حمدان وولته الموصل وديار ربيعة شريطة تنفيذ هذه المهمة بغزو الروم (٦٤) ، اما الفترة الباقية من تاريخ المدينة وحتى سقوطها فى أيـدى الروم سنة ٣٢١ هـ ، فقد انشغلت الخلافة عنها بما كان من مؤامرات القادة العسكريين وما أثاروه من فتن .

خامسا : مما أعان ملطية على أداء دورها فى الجهاد ان الثغور منذ نهاية العصر العباسى الأول كانت قد استكملت بناء وإعدادا وتسليحا ، وأصبحت مؤهلة للقيام بهـذا الدور بالإضافة إلى النظام الذى وضعه الخليفة هارون الرشـــيد لهذه الثغور ، وهو يتيح لولاتها قدرا من الاستقلال وحـــرية التصرف فى مواجهة المواقف المختلفة (٦٥) .

---

(٦٣) القرامطة نسبة الى قرمط بن الاشعث ، وهى من الحركات التى تظاهرت بالاصلاح الاجتماعى ، واتخذت من الدين ستارا لتحقيق اغراضها فى السيطرة واصطبغت بصبغة شيعية ، وقد ارتكب القرامطة الاعمـــال الاجرامية ، وروعوا الآمنين ، وكان أول ظهورها بالكوفة ثم صارت البحرين مركزا نشطا لدعوتهم وقد ضعفت هذه الدعوة وتلاشى أثرها فى أواخر القرن الرابع الهجرى . انظر القرطبى : مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٩٧ وما بعدها ، الهمذانى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٦٤) ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ٢١٦

(٦٥) محمود : د . حسن أحمد و د . أحمد الشريف العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ١٦٩ الطبعة الخامسة دار الفكر العربى القاهـــرة بدون تاريخ .

سادسا : معاونة طائفة البيالصة (٦٦) في فترة من فترات تاريخ المدينة ، فقد كان لهذه الطائفة دور كبير في مساعدة المسلمين في الثغور عامة ، وفي ملطية على وجه الخصوص ، نظرا للقرب المكاني ، حيث اتخذت هذه الطائفة المسيحية من « تفريك » على حدود أرمينية مركزا لها وناصبت الدولة البيزنطية العداء ، واشتركت مع المسلمين في غزو الأراضي البيزنطية (٦٧) ، ولما هاجمت القوات البيزنطية الثغور الجزرية سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م اشترك زعيم البيالصة « قريباس » مع أمير ملطية عمر بن عبد الله الأقطع في الرد على هذا الهجوم ، وبادر البيزنطيون بالهرب (٦٨) ، وعندما أراد الامبراطور ميخائيل الثالث (٢٢٧ - ٢٥٣ هـ / ٨٤٢ - ٨٦٧ م) أن يثأر لهزيمته القاسية في سميساط عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٦٩) خطط للزحف في العام التالي على ملطية وتفريك عاصمة البيالصة ، وما إن تحرك بجيشه سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠م حتى علم باقتراب الخطر الروسي من عاصمة بلاده ، فأرجأ الخطة (٧٠) ، وانتهز المسلمون وحلفاؤهم من البيالصة

---

(٦٦) البيالصة اتباع مذهب بولس الشمشاطي الذي يقول بأن المسيح انسان فقط وأن الله تعالى تبناه - تعالى الله عن ذلك - وهو مذهب يتعارض مع المذهب الارثوذكسي الذي تسير عليه الدولة البيزنطية ، ولذلك اضطهدت أصحاب هذا المذهب وعملت على تصفيتهم . د . سليمان مرجع سبق جـ ١ ص ٤١ ، ص ٤٢ .

(٦٧) المرجع السابق .

(٦٨) الطبري مصدر سبق جـ ٩ ص ٢٠٧ .

(٦٩) د . سليمان مرجع سبق جـ ١ ص ٤٤ نقلا عن :
Theophans Cotinuasi pp. 177. Born 1838 .

(٧٠) د . سليمان مرجع سبق جـ ١ ص ٤٤ نقلا عن :
Obolensky D. The Byzantine Commonweelth Eastern Europe 500 - 1453 pp 102 - 123 .

ذلك ، وتشترك « قريباس » زعيم البيالصة مع عمر بن عبد الله الاقطع أمير ملطية وعلى بن يحيى الأرمنى أمير طرسوس ، وقائد ثالث هو « بلكاجور » فى غزو الأراضى البيزنطية سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م (٧١) وظل التعاون قائما بين البيالصة وملطية وسائر الثغور الإسلامية حتى ادرك أباطرة الروم ضرورة القضاء على هذه الطائفة وحرمان المسلمين من معونتهم ليتيسر لهم هزيمة المسلمين وإسقاط مالطية وغيرها من الثغور ، وتمكن باسيل الأول من تحقيق ذلك سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٧٢) .

دورها فى الجهاد :

وقد تأثر هذا الدور بالحالة التى كانت عليها الدولة العباسية قوة وضعفا ، كما اثر عليه كذلك الوضع فى الدولة البيزنطية ، كما ستشرح الأحداث التالية ذلك ، ويمكن تقسيم هذا الدور إلى ثلاث فترات :

الأولى من سنة ١٤٠ هـ - ٢٣٢ هـ (٧٥٧ - ٨٤٦ م)

---

(٧١) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٧٢) عاشور : د . سعيد عبد الفتاح أوربا العصور الوسطى ص٣٨٤ الطبعة الاولى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٨ م ، د . سليمان المرجع السابق جـ ١ ص ٤٩ نقلا عن :
Cambridge Medieval History' Vol . Iv' P1. PP119 - 120 .

الثانية من سنة ٢٣٢ هـ - ٣١٢ هـ (٨٤٦ - ٩٢٤ م)

الثالثة من سنة ٣١٢ هـ - ٣٢٢ هـ (٩٢٤ - ٩٣٤ م)

الفترة الأولى من سنة ١٤٠ هـ - ٢٣٢ هـ (٨٥٨ - ٨٤٦ م)

وكان ميزان القوى بين الجانبين البيزنطى والإسلامى يميل ناحية المسلمين ، فقد أحرز المسلمون انتصارات رائعة على البيزنطيين ، واضطر بعض أباطرة بيزنطة إلى طلب الصلح والتعهد بدفع الجزية ، كما فعلت الإمبراطورة إيرين (١٨٠ - ١٨٦ هـ / ٧٩٧ - ٨٠٢ م) والامبراطور نقفور (١٨٦ - ١٩٥ هـ / ٨٠٢ - ٨١١ م) (٧٣) ، ثم تعرض الجانبان منذ عهد المأمون وحتى نهاية العصر العباسى الاول لفتن داخلية وإخطار خارجية أثرت على ميزان القوى بينهما ، ففى الجانب الإسلامى كانت ثورات العلويين فى الكوفة واليمن ومكة فى عهد المأمون (٧٤) (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م) ، وثورة بابك الخرمى سنة ٢٠١ هـ ولم يتم إخمادها إلا فى عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م) وذلك سنة ٢٢٢ هـ ، وثورة القبائل العربية حول المدينة وفى فدك ، وثورة الخوارج فى حيار ربيعة ، والأكراد فى مناطق أصبهان والجبال وفارس (٧٥) .

---

(٧٣) الطبرى جـ ٨ ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ ، ص ٢٠٧ ؛ ص ٣٠٨

(٧٤) المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٢٨ ، وما بعدها .

(٧٥) المصدر السابق جـ ٨ ص ١٢٩ وما بعدها .

أما الجانب البيزنطى فقد تمثلت الفتن الداخليـــة فى الناحية الدينية حول الأيقونية (٧٦) ، وكانت أكبر الثورات الداخلية تلك الثورة التى قام بها « توماس السلافى » ورفع فيها شعار الحزب الأيقونى ، وتمكن من حصار القسطنطينية وكاد أن يستولى عليها لولا نجاح الامبراطور ميخـــائيل العمورى فى صده وهزيمته ، وكان لهذه الثورة آثارهـــا الخطيرة على الأوضاع فى الامبراطورية البيزنطية (٧٧) .

وكانت مشاكل الدولة البيزنطية الخارجية تتمثـل فى البلغار الذين هاجموا بعض جهـــات الدولة ، واضطر الامبراطور نقفور إلى النزول بنفسه الى ميدان القتال معهم ولكنه قتل فى حروبه معهم ســـنة ٨١١ م / ١٩٦ هـ ، اما الامبراطور ليو الأرمنى (١٩٨ - ٢٠٥ هـ / ٨١٣ - ٨٢٠ م) فقد أنزل بهم هزيمة ساحقة سنة ٨١٤ م / ١٩٩ هـ واضطروا إلى طلب الصلح (٧٨) كما تمثلت المشاكل الخارجيـــة فى الصرب الذين هاجموا إقليم دالماشيا واستيلاء المسلمين على كريت سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م وبدء فتح صقلية منذ سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩ م (٧٩) .

---

(٧٦) الايقونية تقديس الصور والتماثيل المتعلقة بالدين ورجـــاله وعبادتها . هسى : ج . م العالم البيزنطى ص ١٣٢ - ص ١٣٩ ترجمة د. رافت عبد الحميد الطبعة الثانية دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ م ، يوسف : د . جوزيف نسيم تاريخ الدولة البيزنطية ص ١٢٣ وما بعدها الاسكندرية ١٩٨٨ م .

(٧٧) د . يوسف : المرجع السابق .

(٧٨) د . عاشور مرجع متقدم ص ٣٧٦ - ص ٣٧٨ .

وبالرغم من هذه المشـــاكل فإن المواجهـات العسكرية لم تتوقف بين الجانبين ، وفى سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م قام العباس بن المأمون يغزو بلاد الروم انطلاقا من ملطية (٨٠) . وقام الامبراطور « ثيوفيل » بهجوم على مدينتى ملطيـــة وزبطرة سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م بتحريض من بابك الخـــرمى الثائر على الخلافة العباسية ، وكان الامبراطور يشجع بابك فى هذه الثورة كما كان المأمون يشجع الثـــائر البيزنطى « توماس السلافى » ، وقد سبى « ثيوفل » فى غارته هـــذه أكثر من ألف امرأة مســـلمة ، ومثل بمن صار فى يده من المسلمين (٨١) وقد هب أهل الثغور الأخرى لنجدة زبطـــرة وملطية ، ورد المعتصم على ذلك بفتح عمورية فى قلب إقليـــم فريجيا بآسيا الصغرى سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ - ٨٣٨ م وهى أشرف مدينة عند البيزنطيين بعد القسطنطينية (٨٢) .

وتوالت الهزائم على البيزنطيين فى نهاية هذه الفتـــرة على الجبهة الإسلامية ومن ذلك هزيمة قائدهم العســـكرى « ثيو كتستوس » أمام عمر بن عبد الله الأقطع امير ملطيـــة سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م (٨٣) واضطر البيزنطيون إلى طلب

---

(٧٩) المرجع السابق .

(٨٠) الطبرى مصدر سبق جـ ٨ ص ٦٢٣ ، ابن الاثير مصدر سبق جـ ٥ ص ٢١٩ .

(٨١) الطبرى جـ ٩ ص ٥٥ ابن الاثير جـ ٥ ص ٢٤٧ ابن كثير جـ ١٠ ص ٢٨٥ وقد ذكر ابن كثير أن غارة ثيوفل كانت على ملطية وحدها .

(٨٢) الطبرى المصدر السابق جـ ٩ ص ٥٥ ، ص ٥٧ ، ص ٧٠ .

(٨٣) د . سليمان جـ ١ ص ٤٠ نقلا عن :
Symeon Mngistor; Op. Cit. P. 653 .

الهدنة وتبادل الأسرى ، ووافق الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م) وتم تبادل الأسرى (٨٤) .

الفترة الثانية ٢٣٢ - ٣١٢ هـ (٨٤٦ - ٩٢٤ م).

وهى اطول الفترات وأدلها تعبيرا عن الدور الذى قامت به المدينة فى جهاد البيزنطيين ومع أن الخلافة لم تغفل عن إرسال الجيوش إلى المدينه لغزو الروم فى غالب الأوقات ، إلا أن هذه الفترة من العصر العباسى الثانى التى تتميز بضعف الخلفاء وتسلط القادة الأتراك ، واختفاء شخصية الخليفة المجاهد الذى يغزو بنفسه بلاد الروم ، قد ضاعفت من مسئولية أمير ملطية وغيره من مراء الثغور وحملت اهلها إلى حد كبير تبعة حماية الحدود الإسلامية ، وكانت الفتن والاضطرابات داخل الدولة العباسية والتى كانت الشغل الشاغل للمسئولين قد صرفتهم تماما عن الالتفات إلى الثغور وما يجرى فيها ، وتحمل أمراء الثغور حينئذ المسئولية كاملة فى الحرب ضد البيزنطيين كما حدث عندما انشغلت الخلافة العباسية بالفتنة فى أرمينية سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥٢ م ووجهت جيوشها إلى هذه المنطقة (٨٥) فقد تحمل أمير ملطية عمر ابن

---

(٨٤) الطبرى مصدر سبق جـ ٩ ص ١٤١ ، ص ١٤٢

(٨٥) المصدر السابق جـ ٩ ص ١٨٧ ، ص ١٨٨

عبد الله الأقطع المسئولية كاملة ، كما تحمل غيره من أمراء الثغور - فى مواجهة البيزنطيين وقام عمر بغارات ناجحة على الأراضى البيزنطية واضطرت الإمبراطورة ثيودورا امام التفوق البرى للقوات الإسلامية فى منطقة الثغور إلى اللجوء إلى السلاح البحرى ، فهاجمت أساطيلهم ميناء دمياط سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م ، وكان هذا الميناء يقدم المساعدات لمسلمى إقريطش (كريت) (٨٦) ، وبالرغم من نجاح هذه الحملة البحرية إلا أن الإمبراطورة رأت عدم جدوى ذلك وأنه لا يؤثر على تفوق المسلمين البرى فى منطقة الثغور ، ورأت عقد الهدنة وتبادل الأسرى وتم ذلك سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م (٨٧) .

وتجددت المعارك على الحدود الإسلامية البيزنطية فى العام التالى ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م وكان لمجاهدى ملطية بقيادة امير المدينة عمر بن عبد الله الأقطع القدح المعلى فى هذه المعارك ، وقام ولاة الثغور سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م بغزو بلاد الروم منتهزين انشغال البيزنطيين بالخطر الروسى ، ويبدو أن هذا الغزو كان قويا لدرجة دفعت الامبراطور ميخائيل الثالث إلى الخروج بنفسه لصده ، وكان لمجاهدى ملطية وأميرها عمر بن عبد الله الأقطع دور مميز فى التصدى للامبراطور ، فبعد أن الحقوا به هزيمة نكراء ، قاموا بملاحقة

---

(٨٦) المصدر السابق جـ ٩ من ص ١٩٢ ، ص ١٩٥ - ابن الاثير مصدر سبق جـ ٥ ص ٢٩٢ ابن تغرى بردى : أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٢ من ص ٢٩٤ هـ ص ٢٩٥ طبع دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٢ - ١٣٥٨ (١٩٢٢ - ١٩٣٩)

(٨٧) الطبرى المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٠١ - ص ٢٠٣

الامبراطور الذى كاد أن يقع فى اسر المسلمين ، لولا أنه لجأ إلى تبديل ثيابه ، فاستطاع الهرب إلى العاصمة (٨٨) ٠

وحانت الفرصة المناسبة للامبراطور ميخائيل الثالث للانتقام من أمير ملطية عمر بن عبد الله وذلك بعد أن زال الخطر عن العاصمة بانسحاب الأسطول الروسى سنة ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م وتوغل عمر بن عبد الله فى ثمانية آلاف من جنوده داخل الأراضى البيزنطية حتى وصل (أميسوس) فدمرها ، فأرسل إليه جيشا على راسه القائد « بتروناس » الذى حاصر عمر من كل الجهات وضيق عليه الخناق ، وحاول عمر أن يفتح ثغرة للخروج فقتل فى إحدى محاولاته وقتل معه ألفان من المسلمين (٨٩) وخسر المسلمون بذلك قائدا بارعا ، وانتهز البيزنطيون فرصة مقتله وخلو الساحة من قائد عظيم يحل محله ، فقاموا بالإغارة على الثغور الجزرية حتى وصلوا قرب ميافارقين ، وعندما علم على بن يحيى الأرمنى ، أثناء عودته

---

(٨٨) د ٠ سليمان مرجع تقدم جـ ١ ص ٤٥ نقلا عن :
Theophanes Conuatus. PP . 178 - 179 .

(٨٩) اليعقوبي مصدر سبق جـ ٢ ص ٥٠١ ، الطبرى مصدر سبق جـ ٩ ص ٢٦١ ، ويذهب السعودى الى أن من معه قتل الا عددا قليلا ، مروج الذهب ومعادن الجوهر مصدر تقدم جـ ٢ ص ٤٥١ ٠ أما المصادر الاجنبية فيبالغ بعضها ، ويذكر أن جيش عمر البالغ اربعين الف جندى قد قتلوا جميعا ٠
د ٠ سليمان المرجع المتقدم جـ ١ ص ٤٥ ، ص ٤٦ نقلا عن :
Theophanes Conuatus; PP. 179 - 180 .

(٩٠) وكان يتولى قبل ذلك امرة طرطوس ، وعرف بالشجاعة والمهارة العسكرية والحمية للاسلام ٠ أنظر الطبرى جـ ٩ والمسعودى مصدر تقدم جـ ٢ فى مواضع متفرقة ٠

من أرمينية بعد عزله عنها (٩٠) خرج إلى الروم فى جماعة من رجال ميافارقين فقتل هو الآخر (٩١) .

موقف جمهور المسلمين من هذه الأحداث وأثره :

كان لمقتل هذين القائدين العظيمين أثر سيىء على جموع المسلمين فى بغداد القائدين العظيمين اثر سيىء على جموع المسلمين فى بغداد وسامراء وغيرهما من المدن الإسلامية ومما زاد الأمر سوءا ما رأوه من تقاعس الخليفة وجيش الدولة عن القيام بواجب الجهاد وقتال أعداء الإسلام ، وتسلط القادة الأتراك وتغلبهم على أمور الخلافة ، وقتلهم المتوكل ، واستضعافهم المنتصر والمستعين من بعده ، واجتمعت العامة فى بغداد بالصراخ ونادوا بالنفير سنة ٢٤٩ هـ فاجتمع خلق كثير ، وامتد لهيب الثورة إلى سامراء أيضا ، وقام العامة فى بغداد بإخراج السجناء وأفسدوا جسرى بغداد ، ورأى القادة الأتراك خطر هذه الثورة فتصدوا لها وأرسلوا إحدى فرق الجيش وتدعى الزرافة ، ولكن العامة تغلبوا عليها ، فركب وصيف وبغا الصغير ، وهما من كبار القادة ومعهما جموع الأتراك فقتلوا

---

(٩١) الطبرى المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٦١ .

من العامة خلقا كثيرا ، واستمرت الثورة - مع ذلك - مدة طويلة حتى سكنت (٩٢) .

وإذا كانت هذه الثورة لم تفلح فى تنبيه المسئولين فى بغداد إلى فداحة الأخطار التى تتعرض لها الحدود الإسلامية وظل هؤلاء المسئولين سادرين فى فتنهم ومؤامراتهم ضد بعضهم البعض من اجل الجاه أو المال ، فإنها افلحت فى إثارة الحمية للجهاد ، وقتال أعداء الإسلام ، وجمع أهل اليسار فى بغداد أموالا كثيرة لتصرف على من ينهض إلى ثغور المسلمين لقتال العدو ، عوضا عمن قتل من المسلمين هناك ، وأقبل الناس من نواحى الجبال والأهواز وفارس وغيرها لغزو الروم (٩٣) .

وقد أصبح الوضع فى ملطية بعد استشهاد أميرها عمر الأقطع حرجا حيث لم يوجد من يسد مسده ، وزاد الأمر حرجا انشغال الخلافة ببعض الفتن الداخلية ، فقد واجه الخليفة المستعين ثورات العلويين فى الكوفة وطبرستان والرى منذ سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م ، والفتنة بالأنبار سنة ٢٥١ هـ /٨٦٥م ، واضطرت الخلافة إلى سحب بعض جنودها من الثغور لمواجهة هذه الفتن والثورات (٩٤) ، وهو مما أدى إلى ازدياد

---

(٩٢) المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٦٢ ، ابن الاثير مصدر سبق جـ ٥ ص ٣١٣ ، ابن كثير مصدر سبق جـ ١١ ص ٣

(٩٣) الطبرى ، ابن الاثير ، ابن كثير المصادر السابقة ذاتها .

(٩٤) الطبرى المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٦٦ ، وما بعدها ؛ ابن الاثير المصدر السابق جـ ٥ ص ٣٢٥ وما بعدها .

وضع هذه الثغور سوءا ، وقد قدم من ملطية وحدها نحو ثلاثمائة مقاتل للاشتراك فى القضاء على فتنة الأنبار (٩٥) .

وهكذا اضطربت الأمور فى ملطية وغيرها من الثغور ، وأكثر الروم الغارة عليها فقد ذكر اليعقوبى أن الخليفة المعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م) وجه مزاحم بن خاقان إلى ملطية بعد أن ظهر بها الروم مرات عديدة (٩٦) ، وعندما استأنفت نشاطها العسكرى سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م لم يكن مستواها العسكرى على نفس القدر من الكفاءة والمهارة ، فعندما قاد واليها الجديد محمد بن معاذ الهجوم على الروم فى هذا العام لم يحالفه التوفيق وهزم ووقع أسيرا فى أيديهم (٩٧) .

وفى الوقت الذى وصلت فيه الأوضاع فى الدولة الإسلامية ، ومنطقة الثغور إلى ما وصلت إليه شهدت الإمبراطورية البيزنطية قيام أسرة جديدة فى الحكم هى الأسرة المقدونية (٢٥٣ - ٤٤٨ هـ / ٨٦٧ - ١٠٥٦ م) بعد ان استولى باسيل الأول على العرش سنة ٢٥٣ هـ ٨٦٧ م ، وقد عملت هذه الأسرة على إحياء مجد الإمبراطورية الحربى واسترداد املاكها التى استولى عليها المسلمون ، وهيا

---

(٩٥) المصدران السابقان .
(٩٦) مصدر سبق ج ٢ ص ٥٠١ .
(٩٧) الطبرى المصدر السابق ج ٩ ص ٣٧٧ .

طول حكم هذه الأسرة وتوارث أبنائها الحكم إلى ضمان استقرار الأوضاع الداخلية (٩٨) ، وكان من الممكن تحقيق هذه الأهداف سريعا اولا بعض المشاكل الخارجية مع جيران الإمبراطورية من البلغار والروس .

وفى سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م اتجه الإمبراطور باسيل الأول - بعد نجاحه فى القضاء على البيالصة حلفاء المسلمين - إلى ملطية منتهزا انشغل الخلافة العباسية بالقضاء على ثورة الزنج (٩٩) واستولى وهو فى طريقه إلى المدينة على سميساط ، ولما وصل ملطية فرض الحصار عليها، وتصدى المجاهدون فى المدينة للامبراطور وجيشه وتمكنوا من هزيمته ، وقتل نصر الإقريطشى بطريق البطارقة (١٠٠) ، وهكذا تمكنت المدينة من الصمود فى وجه الامبراطور ودحره بالرغم من الأوضاع التى كانت عليها المدينة والدولة

---

(٩٨) د . عاشور مرجع سبق جـ ١ ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٣ .

(٩٩) استمرت هذه الثورة من سنة ٢٥٥ هـ - ٢٧٠ هـ (٨٦٩ - ٨٨٣م) وقادها على بن محمد احد المغامرين من أهل الطالقان بفارس مستغلا الاوضاع السيئة التى كان يعيشها الزنوج فى المنطقة بين البصرة وواسط ، وكانت أول الامر دعوة الى منع استغلال ملاك الاراضى لهؤلاء الزنوج وتحرير العبيد ثم انقلبت الى حركة عنصرية ورغبة فى الانتقام وأشاعت الرعب وهددت عاصمة الخلافة حتى تمكن العباسيون من القضاء عليها - الطبرى مصدر سبق جـ ٩ ص ٤٢١ وما بعدها ابن الاثير جـ ٥ ص ٣٤٦ وما بعدها . حسن : د . حسن ابراهيم تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جـ ٣ من ص ٢٣٦ - ص ٢٤٠ الطبعة العاشرة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٢ م .

(١٠٠) الطبرى المصدر السابق جـ ٩ ص ٥٠٦ .

الإسلامية بوجه عام ، والفضل فى ذلك يرجع إلى ما كانت تتمتع به من تحصينات قوية ، ومجاهدين أشـــداء وهبوا أنفسهم للدفاع عن الأمة الإسلامية

وكان ذلك من أسباب اهتمـــام البيزنطيين بضرورة القضاء على هذه المدينة .

وقد عاودت باسيل فكرة الهجوم على ملطية بعد حوالى تسع سنوات من هزيمته أمام جندها ، فتوجه إليها مرة أخرى سنة ٢٦٨ هـ - ٨٨١ م وفشل ايضا هذه المرة وتمكن المجاهدون فى المدينة بمساعدة من بعض الثغـــور من صد الامبراطور وهزيمته (١٠١) .

ومع استمرار غزوات المسلمين للحدود البيزنطية انشغل البيزنطيون بالنزاع مع البلغار ، وكان محور هـــذا النزاع الناحية التجارية ونشبت الحرب بينهما سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٤م وانتهت بهزيمة البيزنطيين سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٦ م (١٠٢) ، واضطر البيزنطيون إلى عقد معاهدة لتبـــادل الاسرى مع المسلمين سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٧ م (١٠٣) .

---

(١٠١) المصدر السابق جـ ٩ ص ٦١٢ .

(١٠٢) د . سليمان مرجع تقدم ص ٥٤ نقلا عن :
Obolensky' Op. Cit. PP. 105 - 106 .

(١٠٣) الطبرى مصدر سبق جـ ١٠ ص ٤٦ .

وانشغلت الخلافة العباسية هى الأخرى ببعض الفتن الداخلية ، ومن هذه الفتن ثورة القرامطة (١٠٤) منذ سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م فى البصرة وامتدادها إلى مناطق أخرى وخروج محمد بن أبى الساج والى أرمينية على الخلافة سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م (١٠٥) وكان لهذه الثورات تأثيرها السلبى على الثغور إذ أنها كانت تدفع الخلافة فى كثير من الأحيان إلى الاستعانة بجند من الثغور للقضاء على هذه الفتن ، كما أن بعض هذه الثغور لم تكن بمعزل عن هذه الفتن مما كان يؤثر على موقفها من البيزنطيين ، وقد حدث ذلك للطرسوسية نفسها فقد لجأ إليها وصيف خادم محمد بن أبى الساج سنة المعتضد بذلك ، وسأله أن يوليه الثغور ، ولكن المعتضد عرف مكره وخداعه وسار إلى حربه ، وتمكن من أسره (١٠٦) .

ومن نشاط ثغر منبج فى هذه الفترة غزو مؤنس الخادم الصائفة منها فى جيش كثيف ، ومعه أبو الأغر السلمى - أحد القادة العسكريين - بلاد الروم فى أواخر سنة ٢٨٦ هـ / ٨٨١ م ، ونجاح هذه الغزوة ، وعودته ببعض الأسرى (١٠٧) .

---

(١٠٤) القرامطة نسبة الى قرمط بن الأشعث ، وهى من الحركات التى تظاهرت بالاصلاح الاجتماعى ، واتخذت من الدين ستارا لتحقيق أغراضها ، واصطبغت بصبغة شيعية ، وكان أول ظهورها فى الكوفة ، وقد ضعفت هذه الدعوة وتلاشى اثرها فى أواخر القرن الرابع الهجرى . انظر الهمذانى مصدر تقدم جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٣٣٧ ابن كثير مصدر تقدم جـ ١١ ص ٦١ .

(١٠٥) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٧٧ وما بعدها فى اماكن متفرقة .

(١٠٦) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٧٧ ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ٩٤

(١٠٧) الطبرى المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٤٣ ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ١٣٥ .

وقد تحسن موقف البيزنطيين ، وزادت هجماتهم على الثغور الإسلامية بعد إبرام معاهدة الصلح مع البلغار سنة ٢٨٢ هـ/ ٨٩٦ م وتمكنهم من نقل قواتهم البرية إلى منطقة الحدود مع المسلمين (١٠٨) مما دفع الخليفة المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٨ م) إلى السعى لعقد الهدنة ، وتم عقدها وتبادل الأسرى بين الجانبين سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م (١٠٩) وإن كان البيزنطيون الذين شعروا بضعف الجانب الاسلامى ، واحسوا بقوتهم ، نقضوا الهدنة فى العام التالى ٢٩١ / ٩٠٣ - ٩٠٤ م وهاجموا الجزيرة (١١٠) .

وقد عوض المجاهدون فى ثغور الشام هذا القصور فى الحروب البرية حيث قاموا بهجوم بحرى ناجح على مدينة « سالونيك » ثانية المدن البيزنطية بعد القسطنطينية سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، والحقوا هزيمة قاسية بالبحرية البيزنطية وكان لها نتائجها السيئة على الامبراطورية (١١١) ، كما قام المسلمون بمعارك بحرية أخرى ضد البيزنطيين حالفهم التوفيق فيها (١١٢) .

---

(١٠٨) الطبرى المصدر السابق جـ ١٠ ص ٧٥ وما بعدها ، د . سليمان مرجع تقدم ص ٥٩ نقلا عن : Obolensky' OP. Cit. P. 106 .

(١٠٩) الطبرى المصدر السابق جـ ١٠ ص ٩٨ ، ص ١٠٧ .

(١١٠) المصدر السابق جـ ١٠ ص ١١٦ .

(١١١) المسعودى : ابو الحسن على بن الحسين التنبيه والاشراف ص ١٦٩ دار التراث بيروت ١٩٦٨ م ، غنيم : د . اسمت الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ص ١٢١ ، ص ١٢٢ المجمع العلمى بجدة ١٩٧٧م

(١١٢) المسعودى مروج الذهب مصدر تقدم جـ ٢ ص ٥١٢ ، د . غنيم المرجع السابق ص ١٣٨ ، ص ١٣٩ .

وشهدت الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة ليو السادس (٢٧٣ - ٢٩٩ هـ / ٨٨٦ - ٩١٢ م) اضطرابات داخلية ، وأعلن أحد القادة العسكريين الطامعين فى العرش الثورة ، وتعرضت الإمبراطورية كذلك لتهديدات مباشرة من البلغار وقام ملكهم « سيمون » بحصار القسطنطينية سنة ٩١٣ م / ٣٠١ هـ (١١٣) وانتهز الحسين بن حمدان - حاكم ديار ربيعة - ذلك وقام بمهاجمة الحدود البيزنطية من طرسوس إلى ملطية سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م (١١٤) .

وشهدت الخلافة العباسية بدورها أوضاعا داخلية سيئة فى عهد الخليفة المقتدر ، فقد تعرضت مصر - التابعة للعباسيين - لحملات فاطمية منذ سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م(١١٥) وتمرد الحسين بن حمدان حاكم ديار ربيعة على الخلافةولكن المقتدر تمكن من إخضاعه أما يوسف بن أبى الساج حاكم أرمينية وأذربيجان . فلم تفلح الخلافة فى إخضاعه وأصبح شبه مستقل بالمناطق التى يحكمها (١١٦) ، ولم تحاول الإمبراطورة « زوى » التى آلت إليها الوصاية على الامبراطور الصغير قسطنطين السابع أن تستغل هذه الظروف لمهاجمة الأراضى الاسلامية لإحساسها باستمرار التهديد البلغارى لبلادها (١١٧) ، بل إنها سعت للهدنة سنة ٣٠٥ هـ /

---

(١١٣) د . سليمان مرجع تقدم ص ٧٠ نقلا عن :
Obolenky, Op. Cit. PP. 107 - 108 .

(١١٤) الطبرى مصدر سبق جـ ١٠ ص ١٤٧ .
(١١٥) المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٤٩ ، ص ١٥٠ .
(١١٦) القرطبى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٥ ، ص ٥٥ ، ص ٦٤ .
(١١٧) د . سليمان مرجع تقدم ص ٧٢ .

٩١٧ م (١١٨) فرحب الخليفة المقتدر ليتفرغ لمشاكله الداخلية ثم ظهر « رومانوس ليكابينوس » كامبراطـــــور شريك لقسطنطين السابع (٣٠٨ - ٣٣٣ هـ / ٩٢٠ - ٩٤٤ م)(١١٩)، وكان قبل ذلك قائدا للأسطول البيزنطى ، وبظهـــوره بدأت مرحلة جديدة اتسمت بالنشاط العسكرى الكبير ، وقـــد اضطر رومانوس الى طلب الهدنة من الخليفة المقتدر نظرا لاشتداد الخطر البلغارى ، ووجد هذا الطلب استجابة من المقتدر الذى كان يعانى من هجمات القرامطة على البصرة والكوفة (١٢٠) ، وتم عقد الهدنة وتبـــــادل الأسرى بين الطرفين سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م (١٢١) .

---

(١١٨) القرطبى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٦٢ ، مسكويه مصدر سبق جـ ٥ ص ٥٣ ، ص ٥٥ .

(١١٩) كان النظام البيزنطى يسمح أن يكون فى منصب الامبراطور عدة اشخاص ولكن الذى يمارس الحكم بالفعل واحـــد منهم ، والباقون يحملون اللقب فقط ، وكان الذى يمارس الحكم فى هذه الفترة هو « رومانوس ليكابينوس » ، رنسيمان : ستيفن : الحضارة البيزنطية من ص ٦٥ - ص ٦٧ ترجمة عبد العزيز جاويد مكتبة النهضة المصية للقاهرة ١٩٦١ م .

(١٢٠) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ١٧٥ ، ابن كثير جـ ١١ص ١٤٧

(١٢١) مسكويه مصدر سبق جـ ٥ ص ١٢٩ ، ابن الاثير جـ ٦ص ١٨١

الفترة الثالثة : ٣١٢ - ٣٢٢ هـ (٩٢٤ - ٩٣٤ م)

وفى بداية هذه الفترة شعر البيزنطيون بتحسن الموقف العسكرى على الجبهة البلغارية ، وابتعدت نذر الحرب بين الطرفين ، فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة تعانى من فتن داخلية فى مقدمتها هجمات القرامطة على بعض مدن العراق ، وبادر رومانوس إلى نقض الهدنة مع العباسيين ، وأرسل قائده كوركواس للهجوم على ملطية سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م (١٢٢) ، وفى العام التالى ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م كرر الهجوم على ملطية وما يليها ، ومعه مليح الأرمنى - القائد البيزنطى صاحب ثغر ليكاندوس - وحاصروا المدينة ، ولكن أهلها صبروا على هذا الحصار ، وتمكن الروم من فتح أبواب من الحصن فدخلوه ، فقاتلهم أهلها وأخرجوهم منه ، ولم يظفروا من المدينة بشىء (١٢٣) .

وأمام هذا الفشل صب البيزنطيون جام غضبهم على القرى المنتشرة حول المدينة فخربوها ، بل إن سورة الغضب والحقد دفعتهم إلى نبش قبور الموتى والتمثيل بهم ، وهذه درجة سفلى من التصرفات البعيدة عن أبسط قواعد القيم

---

(١٢٢) الهمذانى مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٤٨ ، ابن الاثير مصدر تقدم ج ٦ ص ١٨٢ .

(١٢٣) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٨٥

الإنسانية والأخلاق ، وفى النهاية رحلوا عن الثغور ، وذهب بعض أهل ملطية إلى بغداد مستغيثين فلم يستجب لهم أحد وعادوا إلى ملطية مخذولين (١٢٤) ، فقد كان الخليفة المقتدر ومعظم القادة العسكريين مشغولين بحرب القرامطة التى امتدت إلى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وهددوا بغداد والبصرة والكوفة وديار ربيعة وكثيرا من المدن الهامة (١٢٥) .

وتذكر المصادر البيزنطية أن أمير ملطية « أبا حفص » - حفيد القائد الشهيد عمر بن عبد الله الأقطع - اضطر أمام الضغط البيزنطى على التفاوض مع « كوركواس » ، وذهب بنفسه ومعه قائده العسكرى « أبو الصلت » إلى القسطنطينية وعقد مع الإمبراطور « رومانس » معاهدة سنة ٣١٦ هـ /١٢٧م تشترك بموجبها قوات ملطية فى صفوف الجيش البيزنطى (١٢٦) ، وذلك يعنى استسلام المدينة ، وتبعيتها لبيزنطة ، وذكرت أيضا أن سكان المدينة سرعان ما نقضوا اتفاقهم مع البيزنطيين بعد وفاة أبى حفص ، فاضطر كوركواس إلى مهاجمتها من جديد سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وفرض عليها غرامة مالية كبيرة (١٢٧) ، أما المصادر الاسلامية فلا تشير الى شىء من ذلك .

---

(١٢٤) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٨٥ .

(١٢٥) القرطبى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٠٣ وما بعدها ، ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ١٧٥ وما بعدها .

(١٢٦) د . سليمان مرجع تقدم جـ ١ ص ٧٧ نقلا عن :
Tneophanes Continuatus PP. 415 - 416 .

(١٢٧) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٧ .

رأى وتعليق :

لعله من المستبعد أن تستسلم المدينة - على يد أبى حفص - بهذه السهولة، وهى التى أثبتت صلابتها وقوة صمودها، وعجزت قوات البيزنطيين على كثرة عددها ، ومهارة قوادها عن اقتحام المدينة قبل ذلك - ورجعوا عنها خائبين ، وإذا كانت الخلافة العباسية والمسئولون فى عاصمتها لم يستجيبوا لاستغاثة أهلها ، فلا يؤكد ذلك ما روى عن استسلامهم السريع للبيزنطيين ، والحوادث القادمة التى أوردتها المصادر الإسلامية تشير إلى أن المدينة ظلت فترة من الزمان محتفظة بمكانتها كقلعة إسلامية .

وعلى فرض صحة ما ذكرته المصادر البيزنطية ، فمن المحتمل أن يكون استسلام المدينة عملا قام به أبو حفص ومساعدوه دون موافقة أهل المدينة والمجاهدين بها ، ومما يقوى هذا الاحتمال ما ذكرته المصادر البيزنطية من سرعة نقض أهل المدينة الاتفاق مع البيزنطيين بعد وفاة أبى حفص (١٢٨) .

وكانت سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٨ م - على ما يبدو - سنة قاسية على ملطية وميافارقين وآمد وأرزن وغيرها من الثغور

---

(١٢٨) المرجع السابق

الجزرية ، فقد ضعفت هذه الثغور عن دفع الروم عنها ، وفكر أهلها فى التسليم بعد أن عجز الخليفة المقتدر عن مساعدتهم، ولكنهم قبل أن يقدموا على هذه الخطوة الخطيرة ، رغبوا فى استئذان الخليفة وكتبوا إليه يوضحون ما هم عليه من عجز، ويطلبون أن يمدهم بجنـــد من عنده ، ولكن لم يجبهـــم أحـــد (١٢٩) .

ولكن هل استسلمت ملطية بعد هذا الاستئذان مباشرة أم أنها تأخرت ؟ الواقع أن المصادر العربية لا تعطينا إجابة شافية حول هذا الموضوع ، ورواية ابن الأثير تفيد أن ملطية كانت فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م خاضعة للروم ، وعلل ذلك بضعف أهلها عن حمايتها أمام قوة الروم وكثرة جمعهـــم (فصالحوهم وسلموا مفاتيح البلد إليهـــم ، فحكموا على المسلمين) (١٣٠) .

وكانت الخلافة لا تستطيع أن تمنع ســـقوط ملطية وغيرها من الثغور فى أيدى الروم نظرا لظروفها الداخليـــة السيئة ، حتى تهيأ للخلافة ظهور شخصيه عسكرية طموحة هو القائد اغربى سعيد بن حمدان الذى ولاه الخليفة الموصل وديار ربيعة واشترط عليه مقابل ذلك أن يستنقذ منطقة ملطية من الروم ، وغزو بلادهم (١٣١) .

---

(١٢٩) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ٢٠٦
(١٣٠) المصدر السابق جـ ٦ ص ٢١٧ .
(١٣١) المصدر السابق

وخرج القائد سعيد بن حمدان بقـــواته سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م فأنقذ سميساط من الوقوع في أيدى الروم ، ثم سـار إلى ملطية ، وكان بها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمنى ومعهم « بنى بن نفيس » (١٣٢) ، فلما علموا بمقدم سـعيد خرجوا من المدينة وخافوا أن يأتيهم سعيد فى عســكره من خارج المدينة ، ويثور أهلها بهم من داخلها فتكون نهايتهم الأليمة ، فغادروها ، ودخلها سعيد وعادت المدينة مره أخرى للمسلمين ، وبعد أن عين عليها أميرا غادرها لغـــزو بلاد الروم (١٣٣) .

تعليـــل للتراجع البيزنطى :

إن هذا التقهقر الطارىء فى موقف البيزنطيين، يمكن أن نرجعه إلى اهتمام الخلافة العباسية بالموقف فى الثغـــور وبخاصة ملطية بعد أن تخلصت من ثورة القرامطة فى العراق التى انتهت تقريبا سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (١٣٤) وظهـــور القائد البارع سعيد بن حمدان الذى كانت له جهوده الموفقة

---

(١٣٢) كان صاحب المقتدر ثم دفعته تقلبات السياسة فى بغداد الى الهرب الى بلاد الروم وتنصر وكان يصاحب جيوشهم الى بلاد المسلمين . ابن الاثير المصدر السابق ص ١١٧ .

(١٣٣) المصدر السابق

(١٣٤) القرطبى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٠٢ وما بعدها ابن الاثير ج ٦ ص ١٧٥

فى تثبيت الوجود الإسلامى فى بعض الثغور ، ويمكن ان نضيف إلى ذلك انشغال القائد البيزنطى كوركواس بالحرب فى أرمينية ، وخلو الساحة من قائد بيزنطى يضارعه شجاعة ومهارة واهتمام كوركواس بالقتال فى أرمينية وترك منطقة الثغور الجزرية يمكن أن نفسره بأن البيزنطيين وجدوا فى هذه الفترة أن القضاء على النفوذ الاسلامى فى أرمينية اهم لموقعها ، وللتقارب بين الأرمن والبيزنطيين ، وقد وصل بعض الأرمن إلى مناصب مرموقة فى الدولة البيزنطية ، وربما قدروا أن ذلك خطوة فى سبيل تحقيق هدفهم فى منطقة الثغور الجزرية .

وبالنسبة للقائد كوركواس قد تكون خيبة الأمل الذى صادفته أول الأمر فى منطقة الثغور بعجزه عن الاستيلاء على ملطية سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (١٣٥) قد صرفته إلى منطقة اخرى هى أرمينية ، وقد يكون أصله الأرمنى (١٣٦) هو الذى دفعه إلى تطهير هذه المنطقة من النفوذ الإسلامى قبل غيرها .

وقد ساعد على تقهقر موقف البيزنطيين فى الثغور الجزرية أن ثمال الخادم والى طرسوس قام بهجومين

---

(١٣٥) ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ١٨٥

(١٣٦) حسين : د . صابر دياب مرجع سبق ص ١٨٥

ناجحين على الأراضى البيزنطية سنة ٣١٩ هـ /٩٣١م (١٣٧) مما كان له أثر فى أن يخف الضغط على المسلمين فى الثغور الجزرية ويشغل البيزنطيون إلى حد ما بهذين الهجومين ٠

وتطلع الروم للاستيلاء على ملطية سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م، وأعدوا الجيوش اللازمة لذلك ، ووصل الخبر إلى المسلمين فحنال مؤنس الخادم ـ أحد كبار القادة العسكريين فى الدولة العباسية ـ لمنع الهجوم على ملطية حيث كاتب « بنى بن نفيس » الذى أصبح موضع ثقة الروم ، يستدعيه إليه ، ويمنيه ، ويسأله أن يصرف الروم عن ملطية ونجح بنى بن نفيس فى صرف الروم عن ملطية ، وأقبل إلى الموصل ففرح به مؤنس (١٣٨) ٠

وبعد عامين من هذا التاريخ وفى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م تمكن القائد كوركواس من الزحف إلى المدينة بقوات كبيرة ، وحاصرها ، ونجح فى الاستيلاء عليها (١٣٩) ٠

---

(١٣٧) القرطبي مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٤١ ، ابن الاثير جـ ٦ ص ٢١٦ ، ص ٢١٧ ٠

(١٣٨) القرطبي مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٤٦ ٠

(١٣٩) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ٢٤٣ ٠

انهيـــــار ثغر ملطية

سقوط ملطية :

ساعدت أحوال الخلافة العباسية المضطربة القـــائد البيزنطي كوركواس الذى عاد إلى ثغور الجزيرة على مهاجمة ملطية سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ٠ بجيش بلغ عدده خمسين ألف مقاتل وحاصر المدينة ، وقاوم أهلها الحصار مدة طويلة حتى هلك أكثر أهلها من شدة الجوع (١٤٠) مما يدل على صمود أهلها وعنادهم وتضحيتهم ويشهد بقوة إيمانهم ، وحينئذ وقعت المدينة فريسة سهلة فى أيدى البيزنطيين ، وســلاح الحصار والجوع سلاح طالما استخدمه البيزنطيون ضد مدن الثغور الإسلامية ٠

ويذكر ابن الأثير أن « كوركواس » ضرب خيمتين على إحداهما صليب ، وقال من أراد النصرانية انحاز الى خيمة الصليب ليرد عليه أهله وماله ، ومن أراد الاسلام انحاز الى الخيمـــة الأخـــرى ، وله الأمان على نفســـــه ، ونبلغه مامنه (١٤١) ٠

---

(١٤٠) القرطبى مصدر سبق جـ ١٢ من تاريخ الطبرى ص ١٤٦ ٠

(١٤١) مصدر سبق جـ ٦ ص ٢٤٣ ، وهذه الطريقة التى سلكها الروم لفتنة المسلمين عن دينهم ونشر النصرانية بينهم طريقة غير انسانية لأنهـــا =

وقد اضطر كثير من المسلمين تحت ضغط العاطفة إلى الانحياز إلى الخيمة التى عليها الصليب طمعاً فى أهليهم وأموالهم ، أما الباقون فأبوا أن يستسلموا لذلك فأرسل الروم معهم بطريقا يبلغهم مأمنهم ، وفتحت المدينة بالأمان مستهل جمادى الآخرة يوم الأحد (١٤٢) سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤م.

وهكذا لم تكن مصيبة أهل ملطية فى فقد بلدهم التى أحبوها وأخلصوا فى الدفاع عنها فحسب بل كانت مصيبتهم كذلك فى أهليهم وأموالهم ، وإذا كان ابن الأثير قد ذكر أن الروم بعثوا مع الراغبين فى ترك المدينة بطريقا يبلغهم مأمنهم ، فقد ذكر ابن كثير أن الروم أعطوا أهل ملطية الأمان حتى تمكنوا منهم ثم قتلوا من أهل ملطية خلقا كثيرا وأسروا ما لا يحصى كثرة (١٤٣) ، وما ذكره ابن كثير يدل على سوء أخلاق البيزنطيين ونكثهم العهود وقسوتهم ، وليس ببعيد ان يكون ذلك هو الذى صبر منهم تجاه أهل ملطية ، وبخاصة أن هذه المدينة كان لها دور كبير فى جهادهم ، وقاومتهم بعناد وإصرار عندما أحوا بالهجوم عليها ، وما لنا نستبعد ذلك وقد

= تستغل الظروف السيئة التى تحيط بالبشر ، والدين انما يتشرب بالاقناع والحجة ، وما فعله الروم هنا يشبه الى حد كبير ما حدث فى طرسوس بعد ذلك فقد خصوا فيها علمين بدل الخيمتين ، ولكن الخيار كان بين الاقامة فى بلاد المسيحية او بلاد الأسلام . انظر الحموى مصدر سبق جـ ٤ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١٤٢) المصدر السابق .

(١٤٣) مصدر سبق جـ ١١ ص ١١٧ .

ارتكبوا من قبل ما هو أشد فظاعة عندما انتهكوا حرمة الموتى من المسلمين ونبشوا قبورهم ومثلوا بهم سنة ٣١٣ هـ بعد فشلهم في الإستيلاء على ملطية (١٤٤).

موقف المسلمين من سقوط ملطيه :

كان سقوط ملطية في أيدى البيزنطيين سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م خسارة كبرى للمسلمين جميعا باعتبارها الثغر الأول بين ثغور الجزيرة والقلعة الحصينة للدفاع عن الأمة الإسلامية ، ويوضح البحث موقف المسلمين من سقوطها على مستوى الحكومات وعلى مستوى الشعوب

أولا : موقف الحكومات الإسلامية :

اما موقف الحكومات فيأتى في مقدمتها الخلافة العباسية صاحبة الشرعية في حكم العالم الإسلامى كله والتى يستمد حكام الدولة المستقلة شرعية حكمهم منها ، وكانت ملطية تابعة للخلافة العباسية تبعية مباشرة حين سقوطها ولم يصدر عن الخلافة العباسية رد فعل إزاء ذلك ، ولم تذكر

---

(١٤٤) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ١٨٥ .

المصادر شيئا يتعلق بهذا الأمر ، ولعل الخليفة الجديد « الراضى » (٣٢٢ هـ - ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٠ م) الذى تولى الخلافة قبل ما يقرب من شهر من سقوط ملطية ، كان منهمكا فى اختيار رجال دولته ، وتثبيت حكمه ، وكان القادة وكبار رجال الدولة يتطلعون إلى تحسين أوضاعهم فى العهد الجديد ، بالإضافة إلى أمر فى غاية الأهمية وهو ان خطر القرامطة كان لم ينته بعد وإن كان كان قد سكن بعض الوقت ، لذلك رأت الخلافة - على ما يبدو - عدم إرسال الجيوش إلى منطقة الثغور وادخرت قواتها لمحاربة القرامطة الذين كان خطرهم أشد من خطر البيزنطيين فى نظرهم ، وفى نفس الوقت أرسلت إلى زعيم القرامطة أبى طاهر سنة ٣٢٢ هـ تدعوه إلى طاعة الخليفة « ليقره على ما تحت يده من البلاد ، ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان » ويلتمس منه أن يكف عن الحجاج جميعهم ، وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه ، فوعد أبو طاهر بالكف عن الحجاج ، ورفض رد الحجر الأسود ، وفى نفس هذا العام خرج جماعة من أصحاب أبى طاهر القرمطى فهاجموا نواحى توج (١٤٥) ، ولم يوف أبو طاهر بوعده الكف عن الحجاج فقد اعترض فى العام التالى ٣٢٣ هـ حجاج العراق ، ولم يتمكنوا من أداء الحج فى هذه السنة (١٤٦) .

---

(١٤٥) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٣ وتوج مدينة بفارس قريبة من كازرون وبينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسخا . الحموى مصدر سبق ج ٢ ص ٥٦

(١٤٦) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ٢٤٩ .

وفى الموصل أقرب المدن الكبرى فى العراق إلى ملطية والثغور الجزرية كان النزاع بين أفراد البيت الحمدانى على إمارة الموصل وديار ربيعة وانتهى الأمر بقتل أبى العلاء سعيد بن حمدان الذى ولاه الخليفة الراضى الموصل وديار ربيعة ، على يد ابن اخيه ناصر الدولة الحسن بن عبد الله سنة ٣٢٣ هـ ، وبعث الراضى بجيش على رأسه ابن مقله الوزير إلى الموصل ، فلما قاربها رحل الحسن بن عبد الله ، وبقى الوزير بالموصل يجبى منها الأموال ، فاحتال أصحاب الحسن حتى تمكنوا من حمل الوزير على العودة إلى بغداد بعد أن أناب عنه من يحكمها ، وتمكن الحسن من العودة إلى الموصل ، وحارب نواب الوزير ابن مقله بها ، وتمكن فى النهاية من الانتصار عليهم ، واستولى على الموصل ، وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح ، وأنه سيضمن له البلاد فأجيب إلى ذلك (١٤٧) .

ويكشف لنا ما حدث فى الموصل عن حقيقة هامة ، وهى أن الخلافة لم تكن عاجزة تماما عن إعداد الجيوش وإرسالها الى أى مكان فى هذا الوقت ، ولكنها كانت تفضل إرسال الجيوش إلى المناطق التى يتعرض نفوذها فيها إلى الاختلال ، وما يتبع ذلك من نقص ما يرد إليها من مال عن إرسالها إلى مناطق الثغور التى ليس فيها إلا القتال والأهوال ، وفى هذا إشارة إلى أن الدولة العباسية فى هذه الفترة كانت تقدم

(١٤٧) الهمذانى مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى . ص ٢٩٥ ، ابن الأثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ .

المصالح المادية على القيم والمبادىء التى تمسك بها الأولون فى وجوب الجهاد وحماية العقيدة والدفاع عن ديار المسلمين وأعرضهم ٠

أما فى شرق العراق فكان هناك نزاع بين القـــوى العسكرية على امتلاك أقاليم هذه المنطقة ، وتقدم « مرداويج ابن زيار » حاكم الدولة الزيارية فى إقليم الجبل ، واستولى على الأهواز من على بن بويه - مؤسس الدولة البويهية التى سيكون لها الأمر والنهى فى بغداد بعد ذلك - ورضى على أن يكون نائبا لمرداويج فيما تحت يده ، ولما قتل مرداويج ، تقدم ياقوت - من قواد العباسيين - إلى الأهواز ، واستولى على هذه الولاية ٠

ثم التقى بجند بنى بويه عند أرجان ، وانهزم ياقـــوت هزيمة لم يفلح بعدها ثم جرت مراسلات للصلح انتهت بأن جعل الخليفة الراضى بلاد فارس لابن بويه واستقر ياقوت بالأهواز وذلك سنة ٣٢٢ هـ (١٤٨) وبذلك انشغلت هـــذه القوى الإسلامية عما يجرى فى ملطية ومدن الثغور الأخرى وانصرف القادة العسكريون عن العدو الخارجى الذى يتربص بهم وببلادهم بالنزاع فيما بينهم على السلطة والنفوذ ٠

---

(١٤٨) ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٣٨ ، ص ٢٣٩ ٠

وفي الغرب كانت مصر هدفا للحملات الفاطمية المتكررة ، وقد أرسلت الدولة الفاطمية سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م حملة أخرى استمرت حوالى ثلاث سنوات تخللها صلح سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م بين المصريين وقائد القوات الفاطمية لم يحترمه الطرفان (١٤٩) .

ولم يكن من المتوقع أن يقدم الفاطميون مساعدة للدولة العباسية المتوقع أن يقدم الفاطميون مساعدة للدولة العباسية لاسترداد ملطية والوقوف في وجه البيزنطيين ، فقد كان هناك العداء السياسي ، فالفاطميون يعتقدون أنهم أحق بخلافة المسلمين من العباسيين بحكم انتسابهم إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٥٠) .

هذا إلى جانب الاختلاف المذهبي بين العباسيين السنة والفاطميين الشيعة ، وتطمع الدولة الفاطمية الفتية إلى الاستيلاء على اقاليم الدولة العباسية الهرمة ، وقد رأينا محاولاتهم الاستيلاء على مصر .

أما القوة السياسية الكبرى الأخرى في الغرب فكانت

---

(١٤٩) الكندي : ابو عمر محمد بن يوسف ولاة مصر من ص ٣٠٠ - ص ٣٠٦ تحقيق د . حسين نصار دار صادر بيروت بدون تاريخ ، مسكويه : ابو علي احمد بن محمد تجارب الامم وتعاقب الهمم ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٥ القاهرة ١٩١٤ م

(١٥٠) حسن : د . حسن ابراهيم تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٦٤ الطبعة الرابعة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨١ م .

الدولة الأموية بالأندلس، وكانت هناك عداوة قديمة بين الأمويين والعباسيين لا تشجع على تقديم هؤلاء الأمويين مساعدة للعباسيين فى محنتهم ، كما أن تخوف الأمويين بالأندلس من الدولة الفاطمية الناشئة تجعلهم دائما على أهبة الاستعداد محتفظين بكامل قوتهم تحسبا للمفاجآت ولا يغامرون بإرسالها إلى بلاد الشرق البعيدة (١٥١) .

هذا فضلا عما فى إرسال الجيوش من المغرب والأندلس من تكاليف باهظة وتضحيات جسيمة فى المال والرجال نظرا لطول الطريق ، بالإضافة إلى ما درج عليه أهل المغرب من ترك أمور الشرق ومشاكله لأبنائه لأنهم أكثر دراية بها ، و قدر على تصريفها وحلها .

ثانيا : موقف عامة المسلمين :

أما وقع سقوط ملطية على عامة المسلمين ، وهى المدينة التى لها مكانتها وأهميتها فى الجهاد ضد البيزنطيين فقد ضنت علينا المصادر بكشف أثر سقوط المدينة فى أوساط المسلمين إلا ما كان من قصائد قيلت لتعبر عن هذه المأساة ، وقد ساق الحموى (١٥٢) أبياتا من إحدى هذه القصائد وفيها

---

(١٥١) : د . احمد مختار فى تاريخ المغرب والأندلس ص ١٩٩ وما بعدها مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية بدون تاريخ .

(١٥٢) مصدر سبق ج ٥ ص ١٩٣ .

يقول الشاعر :

فلأبكين على ملطيـــة كلمـــا
أبصرت سيفا أو سمعت صهيلا

هـدم الدمستق سورها وقصورها
فسمعت فيها للنســـاء عويلا

والعلج (١٥٣) يسحبها وتلطم كفه
متوردا يقق (١٥٤) البياض جميلا

قالوا الصليب بهـــا بأمر ثابت
قد أظهروا الصلبان والإنجيـــلا

وأمثل هذا الشاعر لسان حال جمهور المسلمين فى ذلك الزمان والمعبر عن مشاعرهم بلغة جميلة يحفظها الدهر ٠

أما ردود الأفعال الأخرى العملية كما حـــدث من عامة المســـلمين بعـــد مقتـــل القـــائدين عمر ابن عبد الله الاقطـع وعلى بن يحيى الأرمنى ســـنة ٢٤٩ هـ ـ وتحـــدثنـــا عنـــه من قبـــل ـ من تجمع النـــاس ودعوتهم الغاضبة إلى الجهاد وردع الأعداء ، وجمع المـــال

---

(١٥٣) العلج الواحد من كفار العجم ٠ الرازى : محمد بن ابى بكر مختار الصحاح ص ٧٤ الطبعة الاولى القاهرة ١٣٠١ هـ ٠

وإرسال المجاهدين للثغور (١٥٤) ، فبالنسبة لسقوط ملطية لم تتحدث المصادر عن شيء من هذا القبيل ، ولا يمكن أن يكون ذلك عن جهل بما يجرى فى الثغور أو انصراف عن الاهتمام بهذه الأمور ، ولكن يبدو أن المسلمين قد شغلوا - فى هذه الفترة - بأمور أخرى أكثر قربا والتصاقا بهم فإذا نظرنا الى خراسان وفارس وجدنا الصراع العسكرى بين بنى بويه وغيرهم من القادة العسكريين ، وقد شغلت المعارك بينهم افكار الناس وألهتهم عما يجرى فى ملطية وغيرها من الثغور، هذا فضلا عما ألم بخراسان سنة ٣٢٣ هـ من الغلاء الشديد والجوع الذى أودى بحياة كثير من أهل خراسان ، حتى عجز الناس عن دفن موتاهم (١٥٦) .

وفى العراق انغمس أهل بغداد - عاصمة الخلافة فى خلافات مذهبية وفقهية ، وسيطر على عامة الناس فيها بعض الغلاين فى الدين من الحنابلة وتزعمهم « البربهارى » (١٥٧)، وقد اراد الخليفة ابن يدبق ان يقبض عليه لإثارته الفتنة فى بغداد ولكنه هرب فأخذ جماعة من أعيان أصحابه (١٥٨) .

---

(١٥٤) يقق البياض شديد البياض ناصعه المصدر السابق ص ٣٦٤ .
(١٥٥) الطبرى مصدر سبق جـ ٩ ص ٢٦٢ ابن الاثير جـ ٥ ص ٣١٣ ابن كثير جـ ١١ ص ٣ .

(١٥٦) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ٢٤٩ .

(١٥٧) هو الحسن بن على بن خلف ابو محمد البربهارى الفقيه العابد شيخ الحنابلة فى بغداد ، توفى سنة ٣٢٩ هـ ابن الاثير . جـ ٦ ص ٢٢٣ .
(١٥٨) المصدر السابق .

ولم تثنه أمر هذه الطائفة عند هذا الحد بل على النقيض من ذلك تعاظم أمرهم وقويت شوكتهم ، واضطلعوا بأنفسهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واستخدموا القوة والإرهاب فى تغيير المنكر ، ونفذوا ذلك مع العامة والقادة على السواء ، وأصبح الناس منهم فى هلع ، وقام صاحب الشرطة فى بغداد بالتصدى لهذه الطائفة ، ومنعها من الاجتماع ، وحظر مناظرتهم فى مذهبهم ، فلم يفد ذلك وزاد خطرهم وإجرامهم ، وكان لابد من تدخل الخليفة شخصيا للقضاء على هذه الفتنة ، مخرج توقيع الخليفة الراضى سنة ٣٢٣هـ بما يقرأ على الحنابلة ، ينكر عليهم افعالهم المذمومة ، ويدعوهم الى الابتعاد عنها ويهددهم بالضرب والتشريد وحرق منازلهم ومحالهم (١٥٩) .

وهكذا شغل الحنابلة - فى هذه الفترة الحاسمة - أنفسهم بهذه الأمور ، وانشغل الناس بهم ، وغفلوا عن أمر عظيم وهو سقوط ملطية قلعة المسلمين المجاهدين والثغور الأخرى فى ايدى البيزنطيين ، وانتهاك حرمات المسلمن فى هذه الثغور ، وقتل الكثيرين منهم ، ومحاولات هؤلاء النصارى نشر دينهم على حساب المسلمين فى هذه المناط ق، ولو وجهوا جهودهم لبث الحماس للجهاد ، ودفع المسلمين إلى اللحاق بالثغور لحرب البيزنطيين ، ومنع سقوط مدن الثغور الأخرى واستعادة ما ضاع منها لكان خيرا للمسلمين وأنفع لهم .

---

(١٥٩) الهمذانى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ ، ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٤٨ .

وفى مصر انشغل العامة بالصراع بين العباسيين والفاطميين على أرضها من أجل السيطرة عليها ، ثم ما كان من محاولة الإخشيد تدعيم سلطانه بها .

أسباب سقوط ملطية سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م :

أولا : بالنسبة للجانب الإسلامى :

١ - الحالة السيئة التى كانت عليها الخلافة العباسية، فقد ضعف شأن الخلفاء وازداد تدخل الأتراك فى شئون الحكم ، وتطلعوا إلى مصالحهم الخاصة ، ولم يراعوا الصالح العام للمسلمين ، وقد حرصوا على أن يجعلوا الخلافة فى من لا يحسن القيام بأعبائها ليظل لهم النفوذ والسلطة ، من ذلك ما حدث بعد وفاة المكتفى فقد عدلوا عن اختيار عبد الله بن المعتز لنضوجه وكفاءته ، إلى جعفر بن المعتضد الذى لقب بالمقتدر سنة ٢٩٥ هـ ، وكان صبيا فى الثالثة عشر من عمره (١٦٠) .

وكان الخلفاء الذين عاصروا فترة اشتداد الهجوم البيزنطى على ملطية من سنة ٣١٢ هـ وحتى سقطت فى أيدى البيزنطيين سنة ٣٢٢ هـ ، هم المقتدر والقاهر والراضى أو المقتدر فقد تولى الحكم سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م وامتدت فترة

---

(١٦٠) مسكويه : تجارب الأمم مصدر سبق جـ ١ ص ٣ .

حكمه إلى سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م وكانت فترة سيئة من فترات الحكم العباسى ، اتسمت بتدخل النساء والخدم فى شئون الحكم ، وكان المقتدر مبذرا فخلت بيوت المال ، وقد زاد هذه الفترة سوءا اختلاف من حوله من القادة فى الأهواء والرأى ، وقد خلع المقتدر ثم أعيد إلى الخلافة ثم قتل (١٦١) .

وتولى بعده القاهر ، ومكث فى الخلافة حتى سنة ٣٢٢هـ، وجاء اختيار الاتراك له بناء على نصيحة أحدهم بالابتعاد عمن له أم وخالة وخدم يدبرونه - كما كان الحال فى عهد المقتدر - وأنه لابد من رجل كامل « يدبر نفسه ويدبرنا »(١٦٢) وقد عرف القاهر بالقسوة ، وسوء الأخلاق والغدر فخافه بعض القادة الأتراك ، ودبروا للتخلص منه ، ونجحوا فى خلعه فى الخامس من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م وسملوا عينيه ، وولى القادة والخدم بعده الراضى (١٦٣) ، ولم يمض على خلافته شهر واحد حتى سقطت ملطية فى جمادى الثانية ٣٢٢ هـ .

وقد تلاشت فى هذه الفترة هيبة الخلفاء ، وأصبحوا هدفا للازدراء فى الداخل وأغرت أعداء الدولة الإسلامية بمهاجمة حدودها وانتقاص أطرافها (١٦٤) .

---

(١٦١) ابن طباطبا / محمد بن على المعروف بابن الطقطقى . الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ص ٢٢٣ ، ص ٢٣٥ القاهرة ١٩٢٣م

(١٦٢) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢ ، ابن كثير مصدر سبق جـ ١١ ص ١٧٠ الخضرى مرجع سبق ص ٣٥٨ .

(١٦٣) ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ .

(١٦٤) د . حسن إبراهيم تاريخ الاسلام مرجع تقدم جـ ٣ ص ٢٥ .

٢ - الفتن الداخلية ، وقد احتلت فتنة القرامطة (١٦٥) مكان الصدارة ، وقد تركز نشاط هؤلاء القرامطة في البحرين وامتد نفوذهم إلى هجر والأحساء والقطيف ، وقد تولى أمرهم أبو طاهر الجنابى بعد مقتل والده الحسن بن بهرام الجنابى سنة ٣٠١ هـ ، وقد اشتدت هجمات أبى طاهر على البصرة ، وكان أشد هذه الغزوات سنة ٣١١ هـ (١٦٦) ، كما هاجموا الكوفة سنة ٣١٢ هـ (١٦٧) .

وفى سنة ٣١٥ هـ توجه القرامطة إلى العراق ، ووجهت الخلافة العباسية لحربهم « يوسف بن أبى الساج » من كبار القادة العسكريين ، ولكنه هزم أمامهم وأسر ، فوجهت الخلافة خيرة من لديها من القواد ، وفى مقدمتهم مؤنس الخادم (المظفر) ونصر الحاجب وهارون بن غريب الخال وأبا الهيجاء الحمدانى ، ومعهم جيش الخليفة الذى بلغت عدته نيفا وأربعين بينما كان عدد جيش القرامطة ألفا وخمسمائة ، واشار أبو الهيجاء بقطع قنطرة على نهر (زبارا) على بعد فرسخين من بغداد ، وكان النهر يفصل بين الجانبين ولم يتمكن القرامطة من العبور الى جيش العباسيين لعمق النهر ، ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب خلق كثير إلى بغداد من غير أن يلقوهم ، فلما رأى أبو

---

(١٦٦) ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ١٧٥ ، ابن كثير المصدر السابق جـ ١١ ص ١٤٧ .

(١٦٧) القرطبى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ١١٥ ، ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ١٨٠ ، ص ١٨٦ .

الهيجاء ذلك قال لمؤنس : (كيف رأيتم ما أشرت به عليكم فوالله لو عبر القرامطة النهر لانهزم كل من معك ولأخذوا بغداد) وبعد أن يئس القرامطة من مقامهم انصرفوا إلى الأنبار ولم يجسر أحد على اتباعهم (١٦٨) وسار أبو طاهر من الأنبار إلى الجزيرد ينهب ويقتل وجيوش العباسيين عاجزة عن التصدى لهم ، ثم عاد القرامطة أدراجهم إلى موطنهم (١٦٨) .

وذنب هؤلاء القرامطة على اعتراض طريق الحجاج وترويعهم ، ومن أفظع ما قاموا به فى هذا الصدد ما حدث سنة ٣١٧ هـ من ترويع حجاج بيت الله الحرام ونهبهم وقتل بعضهم حتى فى المسجد الحرام ، وقلع الحجر الأسود ، ونقله إلى هجر (١٧٠) .

ولم يحدث فى التاريخ أن انتهكت حرمة المسجد الحرام إلى هذا الحد (١٧١) ، وبعث الخليفة الفاطمى المهدى إلى ابى طاهر الذى كان يدعى التشيع - يلومه ويزرا منه فى التنزيل

---

(١٦٨) القرطبى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١١٥ ، الهمذانى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٥٤ ، ابن الاثير ج ٦ ص ١٨٧ .

(١٦٩) القرطبى المصدر السابق ص ١١٥ ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ص ١٩١ ؛ ص ١٩٢ .

(١٧٠) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ من ص ٢٠٣ ؛ ص ٢٠٥ ابن كثير مصدر سبق ج ١١ من ص ١٦٠ ؛ ص ١٦٢ .

(١٧١) الخضرى مرجع سبق ص ٣٥٣ .

والآخرة إن لم يعد الحجر الأسود إلى مكانه ، فأعاده (١٧٢).

وكان لظهور هؤلاء القرامطة اثره الكبير فى ترويع أهل العراق والحجاز ، وعندما بلغ أهل مكة مسير القرمطى إليهم سنة ٣١٤ هـ نقلوا حرمهم وأموالهم إلى الطائف (١٧٣) ، وفكر أهل بغداد فى الهرب من المدينة إلى حلوان وهمذان سنة ٣١٥ هـ عندما أقبل القرامطة إلى العراق (١٧٤) وكان ما فعله القرامطة بالحجاج وترويعهم سببا فى منع أهل العراق من أداء فريضة الحج سنة ٣١٤ هـ حيث ذكر بعض المؤرخين انه لم يحج أحد من العراق خوفا من القرامطة (١٧٥) ، وعندما كانوا يصممون على أداء هذه الفريضة فى بعض الأعوام كانوا يسلكون طرقا غير معهودة ليسلموا من أذاهم (١٧٦) ، وعندما خرج القائد مؤنس الخادم للحج سنة ٣١٩ هـ خرج فى جيش كثيف خوفا من القرامطة ، وتفادى الإلتقاء بهم (١٧٧).

وهكذا ظهرت الخلافه العباسية عاجزة عن التصدى لاعتداءات القرامطة ، ومنع جرائمهم ، بالرغم من كثرة عدد

---

(١٧٢) ابن الاثير المصدر السابق ابن كثير المصدر السابق .
(١٧٣) الهمذانى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٤٩ ، ابن الاثير جـ ٦ ص ١٨٥ .
(١٧٤) الهمذانى مصدر تقدم جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٣٥٣ ، ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ١٨٧ .
(١٧٥) الهمذانى المصدر السابق ص ٢٤٩ ابن كثير مصدر سبق جـ ١١ ص ١٥٤ .
(١٧٦) ابن كثير المصدر السابق جـ ١١ ص ١٦٥ .
(١٧٧) المصدر السابق ص ١١٦ .

جيوش الخلافة . فقد امتاز هؤلاء القرامطة بالشجاعة والإقدام والحرص على الموت ، وهذا ما لم يتوفر لجنود الخلافة الذى ملأ الطمع نفوسهم وسيطر حب الدنيا عليهم .

وكانت فتنة القرامطة فى مقدمة اهتمامات الخلافة العباسية ، وكان خطرها لا يقل فى - نظرها - عن خطر الروم فى الثغور ، إن لم يزد عليه ، بعدما استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وحرماتهم ، واستهانوا بمقدساتهم فهم العدو القريب الدار ، الحال بين أظهر المسلمين ، وقد كلفت فتنة القرامطة الدولة العباسية الكثير من الأموال ، وجندت لها خيرة قوادها وجنودها ، وشغلتهم المعارك مع هؤلاء القرامطة عن الالتفات إلى الخطر البيزنطى على ملطية وغيرها من الثغور .

٣ - النزاع بين القادة العسكريين ، فما إن خف ضغط القرامطة على العراق حتى برزت على السطح فتنة أخرى استحوذت على اهتمام القادة العسكريين وصرفتهم عن الاهتمام بالثغور ، وهى النزاع فيما بينهم ، وتنافسهم على النفوذ والسلطان ، وقد ظهر ذلك واضحا فى آخر عهد المقتدر ، بين القائدين مؤنس الخادم (المظفر) ومحمد بن ياقوت ، وكان مؤنس قد وصل إلى مرتبة عليا فى الدولة العباسية ، نظرا لما قام به هذا القائد من جهود فى

تثبيت سلطان الدولة ، ولحروبه الموفقة ضد البيزنطيين حتى أصبح بمثابة القائد العام للجيوش ، وكان الخليفة يمتثل لما يشير به ، وعندما رأى مؤنس أن الخليفة قد أسند إلى محمد بن ياقوت بعض المناصب الهامة سنة ٣١٩ هـ طلب من الخليفة عزله عن هذه المناصب لأنه ليس أهلا لها ، فعزله الخليفة وأبعده إلى المدائن (١٧٨) ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، فقد تولى الوزارة الحسين بن القاسم ، وأخذ الحسين يجبر القضاء على نفوذ مؤنس الخادم ، وبعث إلى محمد بن ياقوت يستقدمه إلى بغداد ، وجمع الجنود ، ومال المقتدر إلى جانب الوزير ومحمد بن ياقوت ، فقد حدث بين الخليفة ومؤنس ما كدر صفو المودة بينهما (١٧٩)

وإزاء ما حدث ذهب مؤنس بجنده إلى الموصل وادعى أن الخليفة ولاه عليها وكتب الوزير إلى الحمدانيين سنة ٣٢٠ هـ يطلب منهم قتال مؤنس فقاتلوه ولكنهم هزموا أمام مؤنس الذى إستولى على الموصل وأخذ أموال بنى حمدان ، ثم أخذ مؤنس طريقه إلى العاصمة سنة ٣٢٠ هـ وتراجعت أمامه طلائع الخليفة المقتدر ، وفكر الخليفة فى ترك بغداد لمؤنس والذهاب إلى واسط ، ولكن محمد بن ياقوت منعه من ذلك وطلب منه

---

(١٧٨) القرطبى بمصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٣٧ ، ابن الاثير بمصدر سبق جـ ٦ ص ٢١٣ .

(١٧٩) ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ٢١٦ .

الخروج بنفسه للقتال ، وبين له أن جنود مؤنس إذا رأوه تركوا مؤنسا وانضموا إليه .

.. وانهزم جند الخليفة قبل أن يصل الخليفة إلى ميدان القتال ، وانتهى الأمر بقتل الخليفة المقتدر ، وانتصار القائد مؤنس على خصومه (١٨٠) .

وبعد تولية القاهر الخلافة استوحش مؤنس المظفر ويلبق الحاجب وولده على والوزير ابو على بن مقله من القاهر وضيقوا عليه ، فى الوقت الذى علت فيه منزلة محمد ابن ياقوت عند القاهر الذى عزم على الإيقاع بمؤنس ، وبعد سلسلة من المؤامرات والدسائس ، انتهى الأمر بقتل مؤنس ويلبق وولده على وذلك سنة ٣٢١ هـ (١٨١) .

اما أبو على بن مقله فقد اختفى ، ولم يتمكن القاهر من القبض عليه ، وأخذ ابن مقلة يدبر المكائد للتخلص من القاهر ، واتصل برؤساء الساجية والحجرية (١٨٢) واخذ يؤلبهم على

---

(١٨٠) القرطبى مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى من ص ١٤٢ - ص ١٥٢ ، ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١ .

(١٨١) ابن الاثير المصدر السابق ج ٦ من ص ٢٢٤ - ص ٢٢٩ ، ابن كثير مصدر سبق ج ١١ ص ١٧٣ .

(١٨٢) الساجية اتباع ابن ابى الساج احد قواد المعتمد ، والحجرية جماعة من الشباب يقيمون فى حجرة منفردة ، وهم فرقة من الحرس الخاص فى قصور الخلافة - د . حسن ابراهيم تاريخ الاسلام مرجع تقدم ج ٣ ص ٧ حاشية (٢) .

التاهر ، ويخوفهم من بطشه وقد حدثت من القـاهر بعض التصرفات اكدت لهم هذه المخاوف (١٨٣) وما زال بهم حتى قاموا بالقبض عليه وخلعوه من الخلافة ثم سملوا عينيه فى الخامس من جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ (١٨٤) .

وهكذا فى الوقت الذى كان فيه البيزنطيون يطرقـون مدن الثغور ، ويهاجمونها ، وأهلها يستنجدون ويستغيثون، تهمك القادة العسكريون فى معارك داخلية ومؤامرات لا تهدف سوى زيادة النفوذ الشخصى ، والرغبة فى الانتقام ، وتحقيق السيادة والمكانة العالية .

٤ ـ ان جند الدولة وقادتها ـ وجلهم من الأتراك ـ كان ينقصـهم الشـعور بالولاء للدولـة ـ كمـا يظهـر من تتبع الأحـداث ـ ولم يكن يحـركهـم التشـبال حمية لدين ولا غيرة على حرمات ولا دفـاع عن وطن نعموا بالإقامة فيه وتمتعوا بخيراته ، بل كان المـال همهم الأول ، ومحركهم القوى ، وقد عبر عن هذا المعنى قائد من قواد هذا العصر هو محمد بن ياقوت عندما ذهب ـ فى عدد من القادة ـ إلى الخليفة المقتدر لطلب المال لإنقاذ بغداد

---

(١٨٣) من ذلك انه بعد ان استتب له الامر كان يعامل الساجيـة والحجرية بجفاء وغلظة ، وانه حفر فى دار الخليفة خمسين مطمورة تحت الارض واحكم ابوابها ، واشيع بانه اعدها ليسجن فيها رؤساء الساجية والحجرية . الهمذانى : مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٨٣ ، ابن الاثير مصدر سبق ج ٦ ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ .

(١٨٤) المصدران السابقان .

من السقوط فى يد مؤنس الخادم ، وقال له : « إن الرجال لا تقاتل إلا بالمال ». (١٨٥)

ومن الحوادث التى تؤكد هذا المسلك ما حدث عندما استنجدت الخلافة يوسف بن أبى الساج لحرب القرامطة سنة ٣٢٤ هـ حيث طلب مقابل ذلك ثلاثة آلاف آلاف دينار وهو مبلغ ضخم يرهق بيت مال الخلافة ، لذلك آثر على بن عيسى الوزير الاستعانة بخمسة آلاف فارس من بنى أسد لحماية طريق مكة ، وخمسة آلاف رجل من بنى شيبان يبعثهم لحرب القرامطة، ولن يكلف ذلك الخلافة أكثر من ألف ألف دينار (١٨٦) وعندما تحرك يوسف بن أبى الساج فى اتجاه بغداد - ويبدو أن الخلافة قد توصلت إلى اتفاق معه - طلب منه مؤنس الخادم الإقامة فى واسط وأن الأموال سترد عليه (١٨٧) .

٥ - سوء الناحية الاقتصادية فى فترة اشتداد الهجوم البيزنطى على ملطية وغيرها من الثغور ، فقد كانت الدولة تعانى من أزمة مالية حادة وهذه الأزمة ترجع فى جذورها إلى سنوات سابقة فقد كلفت الثورات التى نشبت فى داخل الدولة ، كالثورات العلوية وثورة الزنج وثورة القرامطة الخلافة العباسية مبالغ

---

(١٨٥) الهمذانى المصدر السابق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٧٢ .

(١٨٦) القرطبى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ١١١ ، ١١٣ ، ص ١١٤ .

(١٨٧) المصدر السابق ص ١١٤ .

باهظة ، وفى نفس الوقت قلت موارد الدولة نتيجة إستقلال بعض أجزائها (١٨٨) ، وتأخر الولاة الذين ظلوا على تبعيتهم للدولة العباسية عن دفع ما يلزمهم من مال ، وقد لجأت الدولة العباسية إلى أسلوب المصادرات لتغطية عجزها المالى (١٨٩) كما استحدثت طريقة التضمينات (١٩٠) ، ولكن ذلك لم يؤد إلى انفراج الأزمة المالية ، ولا يخفى ما لتمال من أهمية فى إعداد الجيوش وتسييحها ، وكان العجز المالى سببا فى تأخر الدولة - أحيانا - عن دفع رواتب الجند ، وثورة هؤلاء مطالبين بأرزاقهم ، كما حدث عندما ثار الجند على الخليفة المقتدر سنة ٣١٨ هـ مطالبين بأرزاقهم ، وتعهد المقتدر بدفعها إليهم (١٩١) .

وقد اشتدت الأزمة المالية فى آخر عهد المقتدر - قبل سقوط ماطية بسنوات معدودات نظرا للتكاليف التى تحملتها الدولة فى حرب القرامطة ، ومما يدل على اشتداد الأزمة المالية، ان الخليفة المقتدر عجز عن تدبير المال اللازم لمعركته المصيرية مع مؤنس الخادم الذى قدم إلى عاصمة الخلافة للاستيلاء على مقاليد الأمور بها ، وفكر الخليفة فى الذهاب إلى واسط اولا أن قال له محمد بن ياقوت أحد القادة العسكريين :

---

(١٨٨) للهمذانى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٧٢ .
(١٨٩) القرطبى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ١١١ .
(١٩٠) تعنى هذه الطريقة تعيين شخص فى ولاية أو منصب كبير نظير دفع مبلغ ثابت يلتزم به ويقسمه بالطريقة التى يتفق معه عليها . الهمذانى مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٧١ .
(١٩١) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ٢١١ .

(اتق الله يا أمير المؤمنين ولا تسلم بغداد بغير حرب ، وان رجال مؤنس إذا رأوك أحجموا عن القتال) (١٩٢) ٠

واضطرت الخلافة أمام عجزها المالي ورغبتها فى نفس الوقت تحقيق بعض الأغراض التى تهدف الصالح العام للدولة إلى منح بعض الولايات لقادتها العسكريين نظير القيام بذلك كما فعلت مع سعيد بن حمدان عندما ولاه المقتدر الموصل وديار ربيعة سنة ٣١٩ هـ واشترط عليه غزو الروم واستنقاذ ملطية منهم (١٩٣) ٠

٦ - خلو ساحة الجهاد ضد البيزنطيين من القواد الأكفاء من أمثال مؤنس الخادم الذى قاد الصوائف ضد البيزنطيين من ملطية وغيرها ، لقد شغل هذا القائد تماما بالمؤامرات والدسائس فى عاصمة الخلافة وانتهى الأمر بقتله سنة ٣٢١ هـ (١٩٥) ٠

ومن أمثال القائد أبى العلاء سعيد بن حمدان الذى عقد له الخليفه للمقتدر على ديار ربيعة والموصل فى ذى الحجة

---

(١٩٢) الهمذاني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى ٠ ص ٢٧٢ ٠
(١٩٣) ابن الاثير مصدر سبق ج٦٠ ص ٢١٧ ، ابن كثير مصدر تقدم ج ١١ ص ١٦٧ ٠
(١٩٥) الهمذاني مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٨١ ، ابن الاثيرمصد ر تقدم ج ٦ ص ٢٢٤ وما بعدها ٠
(١٩٦) القرطبى ٠ مصدر سبق ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٣٦ ٠

سنة ٣١٨ هـ (١٩٦) ، وقد دخل هذا القائد - البيزنطيون ، فلما علموا بمقدمه خافوا أن يحاربهم سعيد من خارج المدينة ويثور أهل ملطية عليهم من داخلها فيهلكوا وبذلك تركوا المدينة سنة ٣١٩ هـ ودخلها سعيد ، ونصب عليها اميرا، وخرج منها لغزو بلاد الروم (١٩٧) ، وقد دخل هذا القائد - للأسف - فى حلبة الصراع حول المناصب وقتل ضحية هذا الصراع سنة ٣٢٢ على يد ابن اخيه الحسين بن عبد الله الحمدانى الذى استولى على الموصل ، ونجح فى الحصول على موافقة الخلافة (١٩٨) .

٧ - انشغال أقاليم الدولة - فإذا تجاوزنا العراق - مقر الخلافة العباسية - ومنطقة الثغور ، إلى شرق العالم الإسلامى وغربه ، حيث كان من الممكن ان تشارك جيوش من فارس ومصر ، وهما تابعتان للدولة العباسية ، فى صد الخطر عن ملطية وغيرها من الثغور .

نجد أن الظروف السيئة التى أحكمت حلقاتها على الدولة العباسية ومنطقة الثغور قد امتدت إلى شرق العالم الإسلامى وإلى غربه على حد سواء ، ولم يكن من الممكن أن تأتى جيوش من هذه المناطق لنجدة ملطية وغيرها من الثغور .

فقد كان شرق العالم الإسلامى يشهد هجرة بنى بويه

---

(١٩٨) الهمذانى مصدر تقدم ج ١١ من تاريخ الطبرى ص ١٤٦ .

الفرس من بلاد الديلم فى الجنوب الغـــربى لبحر قزوين والصراع بين بويه والقوى السياسية والعسكرية الأخرى على امتلاك الأقاليم شرق العراق (١٩٩) ٠

وفى غرب العالم الإسلامى كانت الدولة الفاطمية تتطلع للاستيلاء على مصر وكانت حملتهم الثالثة على مصر التى استمرت حوالى ثلاث سنوات (٣٢١ - ٣٢٤ هـ) (٢٠٠) ٠

٨ - وضع جمهـــور المســـلمين - فإذا تركنـــا الخلفـــاء والحكام والدول والإمارات الى جمهـــور المسلمين وعامتهم ، وهى قوة عظيمة لا يستهان بهـــا ، فمنهم يمكن ان يخرج المتطوعون لقتال الروم والمجـــاهدون فى سبيل الله ، وباموال الموسرين منهم يمكن ان ينفق على إعداد عدة الحرب وتجنيد الرجال ، كما ان هذا الجمهور او العامة باستطاعتهم أن يكونوا أداة ضغط على الحكام وأن يحركوهم التصدى لبيزنطيين ، ولكننا نجد الناس - فى هذه الفترة العصيبة - قد فسدت أخلاقهم ، وبخاصة فى العراق وفى عاصمة الخلافة ، فلم تعد بغداد - كما ذهب أحد الباحثين - المدينة التى تضم رجالا اقوياء تأخذهم الحمية لنصرة بلاد الإسلام وثغوره (٢٠١) ٠

---

(١٩٩) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ٢٢٤ ، ص ٢٣٥ ٠
(٢٠٠) الكندى مصدر تقدم من ص ٣٠٠ ، ص ٣٠٦ ٠
(٢٠١) د٠ حسن ابراهيم تاريخ الاسلام مرجع تقدم جـ ٣ ص ٢٥

وما يصدق على بغداد يصدق - إلى حد كبير - على سائر المدن والبلاد الاسلامية وبخاصة القريبة من الثغور ، وإذا أردنا أن نعرف أسباب فساد الأخلاق وذهاب الحمية ، وجدنا فى مقدمة هذه الأسباب انقسام المجتمع الاسلامى على نفسه وتفرقه واختلافه ومن مظاهر هذا الانقسام ، الجدال العنيف بين أصحاب الآراء والمذاهب الفقهية .

ومن الأمثلة على ذلك الفتنة التى نشبت فى بغداد سنة ٣١٧ هـ بين أصحاب أبى بكر المرزوى الحنبلى وبين غيرهم من جمهور المسلمين وكان سببها الخلاف حول تفسير آية من القرآن الكريم (٢٠٢) .

ومن مظاهر هذا الانقسام تحرش أصحاب المهن والحرف ببعضهم البعض ومن أمثلة ذلك ما حدث فى الموصل سنة ٣١٧ هـ حيث ثارت الفتنة بين العامة وكانت أسبابها تتعلق بالمعاش ، وتعصب أصحاب الحرف ضد بعضهم البعض ، واقتتالهم وما تبع ذلك من إحراق وتخريب ، وفشل أمير المدينة الحسن بن عبد الله الحمدانى فى إطفاء هذه الفتنة حتى تدخل بعض العلماء وأهل الدين فأصلحوا بينهم (٢٠٣) .

ومن مظاهر هذا لانقسام أيضا أن بوادر الخلاف المذهبى بين السنة والشيعة أخذ طريقه إلى الظهور ، من ذلك الفتنة

---

(٢٠٢) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ٢٠٦ .
(٢٠٣) المصدر السابق ص ١١٤ .

التى حدثت فى بغداد سنة ٣٢١ هـ فقد أمر على بن يلبق أحد القادة العسكريين ، وكاتبه الحسن بن هارون - وأعلمهما من الشيعة أو ممن يميل إلى التشيع - بلعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وابنه يزيد على المنابر مما أدى إلى ثورة أهل بغداد وهم من السنة ، وأراد ابن يلبق القبض على الداعين إلى هذه الثورة وعلى رأسهم البربهارى رئيس الحنابلة ولكنه أفلت منه (٢٠٤) .

وامتدت ظاهرة الانقسام والاختلاف بين المسلمين إلى القبائل العربية ، فبالقرب من الموصل تحالف بنو ثعلبة وبنو أسد وطيىء ضد بنى مالك ومن معهم من تغلب ، وكانت الحرب تنشب بينهم سنة ٣٢١هـ ، وتدخل حاكم الموصل الحسن بن عبد الله الحمدانى بينهم ، فقتل بنو ثعلبة أحد بنى عمه ، فقاتلهم الحسن فانهزموا وملكت بيوتهم ، وتبعهم الحسن الى الحديثة فلقيهم يأنس غلام مؤنس وقد ولى الموصل فانضم إليه بنو ثعلبه وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة(٢٠٥) وكان كل ذلك من عوامل إضعاف وحدة جمهور المسلمين ، وشغل أفكارهم ، وإبعادهم عن النظر فى أحوال الثغور الاسلامية التى تتعرض لانتهاكات البيزنطيين .

---

(٢٠٤) المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٣٣ .

(٢٠٥) المصدر السابق .

ثانيا : بالنسبة للجانب البيزنطى :

١ - من أسباب سقوط منطية أن الدولة البيزنطية ركزت جهودها على الحروب بين المسلمين منذ سنة ٣١٢ هـ/٩٢٤ م وجاء هذا التركيز نتيجة لتحسن الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة البيزنطية ، فمن ناحية الأوضاع الداخلية استقرت هذه الأوضاع بعد القضاء على مشكلة الخلاف الدينى حول مسألة الأيقونات ، واتجاه الامبراطورية إلى تأييد الأيقونية سنة ٨٤٣ م / ٢٢٨ هـ (٢٠٦) .

أما الأوضاع الخارجية ، فكانت أهم المشاكل التى صادفت الامبراطورية قبيل هذه الفترة هى أطماع البلغار فى الأراضى البيزنطية ، ورغبتهم الحصول على امتيازات فى المجال التجارى وأدت تطورات الأحداث إلى نشوب معركة بين الجانبين انتهت بهزيمة البيزنطيين سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م وأصبح « سيمون » ملك البلغار مسيطرا من الناحية الفعلية على الباقان ، وظل مبعث تهديد مستمر للقسطنطينية حتى سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م (٢٠٧) ، وفى هذه السنة دخل سيمون فى مفاوضات مع البيزنطيين بعد أن أدرك صعوبة إحكام الحصار حول القسطنطينية بسبب حاجته إلى أسطول

---

(٢٠٦) د . غنيم مرجع سبق ص ٨٤ ، هس مرجع تقدم ص ١٢٦ وحاشية ٨ ، ٩

(٢٠٧) د . سليمان مرجع تقدم ص ٧٣ نقلا عن :
Obolensky' Op. Cit. PP. 110 - 111 .

قوى ، فى الوقت الذى تمكن فيه البيزنطيون من حشد كامل قواتهم بعد توقيع معاهدة مع الدولة العباسية فى هذه السنة (٢٠٨) .

٢ - انه كان يتولى الحكم فى الفترة التى ألح فيها البيزنطيون بالهجوم على ملطية (٣١٢ - ٣٢٢ هـ) الامبراطور « رومانوس ليكابينوس » الذى عرف بالمهارة العسكرية وحسن السياسة ، والتعصب ضد المسلمين ، وبعد أن اطمأن هذا الامبراطور من ناحية البلغار وتحسن الموقف ، اتجه إلى منطقة الثغور الاسلامية ، وأولى اهتماماً بالثغور الجزرية وبملطية على وجه الخصوص ، باعتبارها مركز الدفاع عن منطقة الجزيرة ويسهل الزحف منها إلى ثغور الشام .

٣ - التخطيط لإسقاط المدينة والمثابرة لتحقيق ذلك ، وقد بدا هذا التخطيط منذ تبين للبيزنطيين أهميتها وخطورتها ، وكان لأميرها عمر بن عبدالله الأقطع دور فى إبراز هذه الأهمية عندما كان يصل فى غزواته البلاد البيزنطية إلى أعماق بعيدة ، ويهزم البيزنطيين ، كما مر .

وفى مقدمة الأباطرة الذين خططوا لإسقاط هذه المدينة

---

(٢٠٨) مسكويه مصدر سبق ج ٥ ص ١٣٩ ، د . سليمان المرجع السابق ص ٧٦ ، ص ٧٧ .

الامبراطور ميخائيل الثالث فبعد أن تخلص من وصاية أمه « ثيودورا » وأصبح الحاكم الفعلى للامبراطورية سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م درس الموقف على الحدود الإسلامية البيزنطية ، ووجد أن الخطر يأتى من قبل ملطية وأميرها عمر بن عبد الله الأقطع ، فوضع خطة للقضاء على هذه المدينة ورأى أن ذلك لن يتأتى إلا بتوجيه ضربة إلى حلفائها من البيالصة ، ولذلك أعد جيشا للهجوم على ملطية وتفريك عاصمة البيالصة ، واستعان على تنفيذ هذه الخطة بالخداع والتمويه حيث طلب من الخليفة العباسى المتوكل فى العام السابق على تحرك جيشه عقد الهدنة ، وذلك سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٢٠٩) ، وما أن تحرك جيشه سنة ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م حتى علم باقتراب الروس من العاصمة فعاد أدراجه ، وفشلت خطته (٢١٠) .

وكان الامبراطور باسيل الأول أكثر من غيره إلحاحا على تدمير ملطية ، والقضاء على هذه القلعة الإسلامية التى تهدد حدود بلاده وأمن أراضيها ، وقد خطط بإحكام لتحقيق هذا الهدف ، وبعد أن اطمأن إلى العلاقات السلمية مع جيرانه من الروس والبلغار فى الشمال ، ومع البندقية والألمان فى الغرب (٢١١) ، اتجه صوب البيالصة حلفاء المسلمين وأعوان أمراء ملطية ، ورأى أن يقضى على هؤلاء أولا ، وتمكن من الزحف إلى عاصمتهم ، تفريك ، واستولى عليها ، كما تمكن

---

(٢٠٩) الطبرى مصدر سبق جـ ٩ ص ٢١٣ .

(٢١٠) د . سليمان مرجع تقدم جـ ١ ص ٤٤ نقلا عن :
Obolensk' Op. Cit, 182 - 183 .

(٢١١) المرجع السابق ص ٤٩ .

البيزنطيون من القبض على زعيمهم «كريسوكير» الذى بدأ يهاجم حينئذ أنقرة ، ونجح باسيل فى تشتيت شمل البيالصة فتحول بعضهم عن مذهبه إلى الأرثوذكسية مذهب الامبراطورية البيزنطية ، وذهب فريق منهم إلى ملطية للعمل مع المسلمين. واحتفل باسيل بهذا النصر سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٢١٢) ، وبالرغم من نجاحه فى القضاء على البيالصة إلا أن ذلك لم يهيىء له النجاح فى فتح المدينة ولقى الهزيمة أمام أسوارها سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م ، وسنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م (٢١٣) وأدرك باسيل أن الامبراطورية فى حاجة إلى حلفاء يقفون معها فى هذه المنطقة حتى يتسنى لها الانتصار على المسلمين ، واتجه باسيل إلى أرمينية واعترف بآشوت البغـــراتى ملكا على أرمينية سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ، وتوفى باسيل فى نفس هذا العام (٢١٣) ، ولم يتوقف التخطيط لإسقاط المدينة فى عهـد ابنه السادس الذى جدد الاعتراف بآشوت البغراتى ملكا على أرمينية سنة ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م ، وعقد معه معاهدتين إحداهما سياسية والأخرى تجارية ، وقام البيزنطيون بإنشاء ثغرين جديدين هما ثغر ليكاندوس ، وثغر أعالى العراق ، وكان ثغر ليكاندوس فى شمال ملطية شرقى قيليقيا ، والغرض من هذا الثغر قطع الاتصال المباشر بين ثغرى ملطية وطرسوس وبالتالى منع المساعدات العسكرية بينهما (٢١٥) ، ولكن

---

(٢١٢) المرجع السابق .

(٢١٣) الطبرى مصدر تقدم ج ٩ ص ٥٠٦ ، ص ٦١٢ .

(٢١٤) حسين : د . صابر محمد دياب: أرمينية ص ١٤٣ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ، د . سليمان مرجع تقدم ص٥٢

(٢١٥) د . سليمان المرجع السابق ص ٦٩ نقلا عن :
Foord. The Byzantine Empire P. 247. london' 1911 .

تأثير هذا الثغر لم تظهر - كما يبدو - إلا بعد مدة من الزمان فقد ظل الاتصال مستمرا بين ملطية وطرسوس بالرغم من وجوده ، بل إن قوات طرسوس ذهبت إلى ملطية لتقوم بالغزو من هناك سنة ٣١١ هـ (٢١٦) ، أما ثغر أعالى العراق فيقع إلى الشمال من ملطية ، والغرض الواضح منه تسهيل وصول القوات البيزنطية والامدادات ، إلى المدينة مما يساعد على إسقاطها

ثم كانت خطة الامبراطور - رومانوس ليكابينوس » الذى تقوم على الهجوم أكثر من الدفاع وتهدف إلى الاستيلاء على الثغور الإسلامية ومهاجمة المدن التى تقع خلف هذه الثغور ، وإنشاء قوة بيزنطية حازمة فى أرمينية ، وقد هيأ الركود العسكرى والضعف الذى هيمن على الخلافة العباسية فى هذه الفترة نجاح هذه الخطة .

بدأ رومانوس تنفيذ خطته بعد أن خف الضغط العسكرى البلغارى على بلاده سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٤ م ، وأحس بتحسن وضع الامبراطورية العسكرى ، فأرسل إلى مدن الثغور يتوعدهم ويهددهم إن لم يدخلوا فى طاعته ، ويبذلوا له الخراج ، وأرسل قائده الكبير « كوركواس » للهجوم على ملطية سنة ٣١٣ هـ (٢١٧) ، وكرر الهجوم فى العام

---

(٢١٦) ابن الاثير مصدر سبق جـ ٦ ص ١٧٢ .

(٢١٧) الهمذاني مصدر سبق جـ ١١ من تاريخ الطبرى ص ٢٤٨ - ابن الاثير جـ ٦ ص ١٨٢ ، ابن كثير جـ ١١ ص ١٥٣ .

التالى ٣١٤ هـ / ٢٩٦ م ، ولكن البيزنطيين لم يظفروا من المدينة بشيء (٢١٨) ، وأمام هذا الفشل رأى البيزنطيون أن يدعموا التحالف بينهم وبين آشبوط الثـــانى (ايركات الحديدى) ملك أرمينية ، فأرســـل الامبراطور جيشـــا لضرب مدينة « دبيل » وهى من المناطق الإسلامية فى أرمينية سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، بقيادة كوركواس ، ولكن هذا الجيش هزم ، وقتل منه عشرة آلاف جندى (٢١٩) .

وفى العام التالى وصل جيش ضخم إلى جنوب أرمينية بزعامة كوركواس ، وحاصر « أخلاط » وتمكن من دخـــول المدينة ، وأخرج المنبر من الجامع وجعل مكانه صليبا وفعـل بمدينة بدليس كذلك ، وخافه أهل أرزن وغيرهم ففارقوا بلادهم واندحر أعيانهم إلى بغداد يستغيثون فلم يغثهم أحد(٢٢٠) .

وكان الغرض من هذه الحملات التى اتســـمت بروح التعصب البغيض ، استمالة الأرمن ، والأمل فى مساعدتهم ضد ملطية وغيرها من الثغور الاسلامية ، بالاضافة إلى النيل من المسلمين والقضاء على نفوذهم فى هذه المناطق ، والرغبة فى ضم هذه المناطق ـ فيما بعد ـ إلى إمبراطوريتهم .

وقد أتت سياسة البيزنطيين تجاه أرمينية ثمـــارها ،

---

(٢١٨) ابن الاثير: المصدر السابق جـ ٦ ص ١٧٥ .
(٢١٩) المصدر السابق جـ ٦ ص ١٩٨ .
(٢٢٠) المصدر السابق جـ ٦ ص ١٩٩

وساعد على نجاح هذه السياسة الحملات الإسلامية التى شنها يوسف الساجى وغيره من الولاة المسلمين على بعض أجزاء من أرمينية ، وكتب البطريق الأرمنى « هوفهانيس الخامس » إلى الامبراطور البيزنطى « قسطنطين السابع » وشريكه الامبراطور « رومانوس ليكابينوس » رسالة يوضح فيها أن أمل أرمينية معقود على بيزنطية فى محاربة المسلمين والأخذ بثأرها منهم ، واعتبر البطريرك تدخل امبراطور بيزنطة - الذى توجه يسوع المسيح - حربا صليبية ، وصرح بأنه يتحدث باسم الباجراتيين - جزء من الشعب الأرمنى - وسائر أمراء البلاد .

وتلقى الامبراطور البيزنطى هذه الرسالة بسرور بالغ ، لأنها فتحت للروم بابا طال انتظارهم امامه ، وارسل فى الحال مبعوثا بيزنطيا إلى الملك الارمنى « اشوط الثانى » محملا بالهدايا ، ومعه صيغة تحالف بيزنطى أرمنى (٢٢١)

ومن وسائل البيزنطيين للإيقاع بملطية فى هذه الفترة إستخدام الحيلة والخديعة ، فقد بعث القائد البيزنطى «ملميح الأرمنى » سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٧ م بسبعمائة رجل من الروم والأرمن إلى ملطية ، ومعهم الفؤوس والمعاول ، وأظهروا أنهم يتكسبون بالعمل حتى يستقروا فى المدينة ، فإذا جاء الروم

---

(٢٢١) حسين : د . صابر دياب مرجع تقدم ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ .

لحصارها عاونوهم من الداخل ، وعملوا على تسليم المدينة إليهم ، واكتشف أهل ملطية الخدعة فقتلوهم ، وأخذوا ما معهم (٢٢٢) .

وبعد ان وثق البيزنطيون من تحالف الأرمن معهم ، تقدم كوزكواس سنة ٣٢٢ هـ بجيشه إلى المدينة ، واثقا من تحقيق انتظر هذه المرة ، وكانت الأحوال المضطربة للجانب الاسلامى من أسباب هذه الثقة ، ومع ذلك لم يكن سقوط المدينة من السهولة بمكان لولا اعتماد البيزنطيين على الحصار الطويل الذى ادى إلى موت اكثر أهلها من شدة الجوع (٢٢٣) .

نظرة وتعقيب فى الختام :

هذه صورة لجهاد شعب ملطية ، وصفحة من تاريخ امتنا الإسلامية كساها الاشراق والفخار فى معظم سطورها وجللها سوء النهاية بوشاح من الندم والأسى فى بقية سطورها ، ولكن يجب ألا تجعلنا سوء نهاية ثغر ملطية نحكم على العالم الإسلامى آنئذ بالضعف والانحلال ، بل لابد من النظر إلى العالم الاسلامى نظرة عامة شاملة ، وسوف نرى أنه فى الوقت الذى كانت فيه بلاد المشرق الإسلامى تشهد مرحلة من الضعف السياسى والعسكرى أطمع فيها أعداؤها من

---

(٢٢٢) المصدر السابق .

(٢٢٣) المصدر السابق .. ٦ ص ٢٤٣ .

البيزنطيين ، وجرأتهم على اقتطاع ثغورهم ، فإن الوضع فى المغرب الاسلامى كان مختلفا تماما ، فاسطول الدولة الفاطمية الفتية فى البحر المتوسط يحرز الانتصارات تلو الانتصارات على امم الفرنجة ، وكانت جزيرة صقلية - فى معظمها - تابعة للفاطميين ، وفى سنة ٣١٢ هـ سار جيش صقلية مع أميرهم سالم بن راشد إلى أرض انكبرده - لومبارديا - ودعم الخليفة المهدى الفاطمى (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤) هذا الجيش بجيش آخر من أفريقيا، وتمكنت هذه القوة الاسلامية من فتح جهات كثيرة ثم عادت إلى صقلية ، وسارت منها إلى أرض قلورية - جنوب إيطاليا - وقصدوا مدينة طارنت فحاصروها ، وفتحوها بالسيف فى شهر رمضان ، ووصلوا مدينة أدرنت فحاصرها وخربوا منازلها ، وواصل أهل صقلية المسلمون الإغارة على ما بأيدى الروم من جزيرة صقلية وقلورية (٢٢٤) ، كما أرسل الخليفة المهدى حملة بحرية سنة ٣١٥ هـ بقيادة « صاين الختى » أغارت على قلورية وسواحل الروم ، وأرسل حملة أخرى بقيادة « صاين » أيضا سنة ٣١٦ هـ فتحت بعض الجهات ثم سارت الى مدينة (نابل) فتح أهلها الجزية (٢٢٩) .

وبعث الخليفة القائم الفاطمى بجيش إلى جنوة سنة

---

(٢٢٤) ابن الاثير المصدر السابق جـ ٦ ص ١٨٢ .

(٢٢٥) ابن عذارى المراكشى : ابو عبد الله محمد البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب جـ ١ ص ١٩٨ نشر دوزى ليدن ١٨٤٨ - ١٨٥١ م .
د . حسن ابراهيم تاريخ الدولة الفاطمية مرجع سبق ذكره ص ٢١٢ .

٣٢٢ هـ فسبى وغنم (٢٢٦) ، ويبدو أنها كانت حملة استطلاعية ، ففى العام التالى ٣٢٣ هـ سير الخليفة القائم أسطولا من أفريقية تمكن من فتح مدينة جنوة ، ومر بسردانيه فاوقع بأهلها ، وأحرق مراكب كثيرة ، ومر هذا الأسطول الفاطمى بقرقيسيا - قورسقة - فاحرق مراكبها وعاد سالما (٢٢٧) .

وكانت بلاد الأندلس تزهو بدولة الأمويين ، وبخاصة فى عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) الذى استطاع أن يحوز احترام الممالك الأوربية وتقديرهم ، وتبادل السفارات والهدايا معهم (٢٢٨) ، وتمكن من صيانة حدود دولته من غارات المغيرين ، واستطاع أن يكبح جماح القوى الأسبانية المسيحية فى الشمال . وخرج على رأس جيوشه وخاض ضدهم حروبا كثيرة ، وهدم حصونهم ، واستعاد بلاد كثيرة ، وقد اشتهرت الأندلس فى عهده بالرقى والازدهار الداخلى والمنشآت المعمارية الكثيرة (٢٢٩) .

---

(٢٢٦) ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٢٨ .

(٢٢٧) المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٤٩ ، د . حسن ابراهيم تاريخ الدولة الفاطمية مرجع تقدم ص ١١١ .

(٢٢٨) ابن عذارى مصدر سبق جـ ٢ ص ٣١٣ - ٣١٥ ، ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد . العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ١٤٣ بولاق القاهرة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٧ .

(٢٢٩) العبادى مرجع تقدم ص ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٨ .

وإذا تجاوزنا النواحى السياسية والعسكرية للعـــالم الإسلامى فى هذه الفترة من القرن الرابع الهجـــــرى إلى الناحية الحضارية ، نجد أن القرن الرابع الهجرى - باعتراف أغلب الباحثين - كان قرن ازدهار الحضارة الإسلامية فى شتى النواحى (٢٣٠) .

وأخيرا فإن ملطية لم تبق طويلا فى أسر الروم ، ولم يظل المشرق الإسلامى غارقا فى ضعفه السياسى وعجزه العسكرى، فقد برزت قوة جديدة من داخل العالم الإسلامى أعادت للدولة الاسلامية شبابها ، وأمجادها العسكرية ، هذه القـــوة هى الأتراك السلاجقة (٢٣١) ، وبعد أن استتب لهم الأمر بدخول عاصمة الخلافة سنة ٤٤٧ هـ وتسلمهم مقاليد الأمور اخـذوا فى الإغارة على أطراف الدولة البيزنطية وتعرضت ملطيـــة لغارات هؤلاء السلاجقة حتى سقطت فى أيديهم ، ولعل أول هذه الغارات تلك التى قام بها القائد السلجوقى « دينار » سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٧ م (٢٣٢) ، وكان للسلاجقة التفـــوق

---

(٢٣٠) انظر فى ذلك : لوبون : جوستاف • حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر مطبعة عيسى الحلبى بدون تاريخ ، متز : آدم الحضارة الإســـلامية فى القرن الرابع ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، د/حسن ابراهيم تاريخ الاسلام مرجع تقدم •

(٢٣١) نزح هؤلاء الاتراك الى بلاد العالم الاسلامى من تركستان فى أواخر القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) وأصبحوا قوة سياســـية وعسكرية يخشى بأسها ، وتمكنوا من دخول بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وتمكنوا من السيطرة على مقاليد الامور في الدولة العبـــاسية ولم يكن للخليفة سوى الزعامة الروحية • انظر ابن الاثير جـ ٨ فى مواضع متفرقة د • عاشور أوربا العصور الوسطى مرجع تقدم جـ ١ ص ٣٩٦ ، ص ٣٩٧ •

(٢٣٢) د • سليمان مرجع تقدم جـ ١ ص ٢٢٥ •

... في هذه الفترة ، ... ... دوقعة (منزكت) سنة ... ١٠٧١ م ... ... (١٠٧١ م) ... ... التوسع ... البيزنطي ، وتمكن القائد السلاجقي ... من ... في ... ، ... دولة الروم السلاجقة التي امتدت شمالا حتى ... البحر الاسود وجنوبا حتى البحر المتوسط ، وتوسعت غربا كذلك دون ان يتمكن البيزنطيون ... ... (٢٣٤) .

---

(٢٣٣) ابن الاثير جـ ٨ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، د . عاشور اوربا العصور الوسطى مرجع تقدم جـ ١ ص ٢٩٨ ، يوسف : د . جوزيف مرجع سبق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢٣٤) ابن الاثير المصدر السابق جـ ٨ ص ١٣٦ د . عاشور المرجع السابق .

المصـــادر والمـراجع والمعـــاجم

أولا : المصـــــادر :

ابن الأثير : أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .

١ ـ الكامل فى التاريخ ـ دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

البلاذرى) ابو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)

٢ ـ فتوح البلدان ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى (٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)

٣ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ نشر ١٣٥٢ ـ ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ م

الحموى : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى (٦٢١ هـ / ١٢٢٨ م)

٤ ـ معجم البلدان ـ دار إحياء التراث العربى بيروت بدون تاريخ

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)

٥ ـ صورة الأرض ـ نشر كرامر ضمن المجموعة الجغرافية العربية ـ الطبعة الثانية ليدن ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ م

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى (ت ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٥ م)

٦ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ بولاق القاهرة ١٢٨٤هـ ١٨٦٧ م

ابن طباطبا : محمد بن على المعروف بالطقطقى (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

٧ ـ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية المطبعة الرحمانية ـ القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)

٨ ـ تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ ١٦٧٠ ـ ١٩٧٦ م

ابن العديم : كمال الدين أبو حفص عمر بن أحمد هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م)

٩ ـ بغية الطلب فى تاريخ حلب ـ مخطوط مصور بدار الكتب ـ القاهرة تحت رقم ١٥٦٦ تاريخ

ابن عذارى المراكشى : أبو عبد الله محمد (ت أواخر القرن السابع الهجرى)

١٠ ـ البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ـ تحقيق كولان وليفى بروفنسال ـ دار الثقافة بيروت ١٩٦٧

قدامة بن جعفر (ت القرن الرابع الهجرى)

١١ ـ نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ضمن المسالك والممالك لابن خرداذبة ليدن ١٩٦٧ م

القرطبى : عريب بن سعد (ت حوالى سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م)

١٢ ـ صلة تاريخ الطبرى فى الجزء الحادى عشر من تاريخ الطبرى ، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٧ م

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٨٢ م)

١٣ ـ البداية والنهاية ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م

الكندى : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)

١٤ـ ولاة مصر ـ تحقيق د . حسين نصار ـ دار صادر بيروت ـ بدون تاريخ

المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م)

١٥ ـ التنبيه والاشراف ـ دار التراث بيروت ١٩٦٨ م

١٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المطبعة البهيـة القاهرة ١٣٤٦ هـ

مسـكويه : أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م)

١٧ ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم ـ القاهرة ١٩١٤ م

الهمذانى : محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)

١٨ ـ تكملة تاريخ الطبرى ضمن الجزء الحادى عشر من تاريخ الطبرى ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٧ م

اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)

١٩ ـ تاريخ اليعقوبى ـ دار صادر بيروت ـ بدون تاريخ

ثانيا : المراجع :

حسن : د . حسن ابراهيم

٢٠ ـ تاريخ الدولة الفاطمية ـ الطبعة الرابعة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٨١ م

٢١ ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ـ الطبعة العاشرة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨١ م

حسين : د . محمد صابر دياب

٢٢ ـ ارمينية من الفتح الإسلامى إلى نهاية القرن الثانى الهجرى ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

الخضرى : الشيخ محمد

٢٣ ـ محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) الطبعة الثانية ـ المطبعة الاستقامة ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م

رنسيمان : ستيفن

٢٤ ـ الحضارة البيزنطية ـ ترجمة عبد العزيز توفيق مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦١ م

سليمان : د . أحمد عبد الكريم

١٥ ـ الخلفاء والبيزنطيون فى شرقى البحر المتوسط ـ الطبعة الاولى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

٢٧ ـ فى تاريخ الغرب والاندلس ـ مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ بدون تاريخ

عثمان : د . فتحى

٢٨ ـ الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٠ م

العريني : د . السيد الباز

٢٩ ـ أجناد الروم ـ مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٦ م

غنيم : د . إسمت
٣٠ ـ الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ـ نشر المجمع العلمى بجدة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

نوبون : جوستاف
٣١ ـ حضارة العرب ـ ترجمة عادل زعيتر ـ مطبعة عيسى الحلبى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

متز : آدم
٣٢ ـ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ـ الطبعة الرابعة ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م

محمود : د . حسن أحمد و د . أحمد ابراهيم الشريف
٣٣ ـ العالم الإسلامى فى العصر العباسى ـ الطبعة الخامسة ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

هسى : ج . م
٣٤ ـ العالم البيزنطى ـ ترجمة د . رأفت عبد الحميد ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ م

يوسف : د . جوزيف نسيم
٣٥ ـ تاريخ الدولة البيزنطية ـ دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٨ م

ثالثا : المعـــاجم :

الرازى : محمد بن أبى بكر
٣٦ ـ مختار الصحاح ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة الأميرية بمصر المحمية .. القاهرة ١٣٠١ هـ .